نوفمبر ٢٠٢٤

مـــــرقس

رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخدام

ST. MARK

November 2024

Monthly Review

البشارة بميلاد مُخلِّص العالم

الملاك جبرائيل يُبشِّر القدّيسة مريم العذراء بميلاد مُخلّص العالم
(أيقونة روسيَّة من القرن السادس عشر، رسم الأخوَيْن فوما وباسيليوس بوتابوف)
من كاتدرائية نياحة العذراء بروسيا

The Cherubim with Its Four Faces

A painting on wood below the dome of St Benjamin in the Church of St Macarius, the Desert of Scete. The Cherubim appears full of eyes, with its four faces and six wings

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٨ **نوفمبر ٢٠٢٤م.**

العدد ٦٥٨ **بابة / هاتور ١٧٤١ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«لَا يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ» ١

أخبار الكنيسة:

لقاء مُمثِّلي الكنائس الأرثوذكسيَّة ٦

مقال للأب متى المسكين: صوم الميلاد ١١

ذكرى الصِّدِّيق تدوم إلى الأبد:

الذكرى العاشرة لنياحة نيافة الأنبا ميخائيل ١٥

من أقوال الآباء: المفاهيم الروحيَّة للتطويبات (٢) ٢١

بمناسبة صوم الميلاد: رؤيا إشعياء ظلال التجسُّد ... ٢٦

دراسات كتابيَّة: "داود قال بالروح القدس" ٣٠

من التراث الكنسي: معرفة الله (١٣) ٣٥

ادخل إلى العمق (٤٦): البيت الفارغ ٣٩

بحث تاريخي: دير الفاخوري بإسنا ٤٤

تقديم كتاب: أربع وجهات نظر عن آدم التاريخي ٤٩

حول العالم: أخبار متنوعة ٥١

مقال بالإنجليزية:

Meeting of the Orthodox Churches

Representatives ٥٦

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس باسيليوس الكبير

إعادة الوحدة للكنائس التي تفرَّقت بعضها عن بعض

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[أعتقد أنَّ الذين يخدُمون الربَّ بإخلاصٍ وحقٍّ،
ينبغي أن يهتموا بهذا السعي الوحيد:
أن يُعيدوا إلى الوَحدةِ الكنائس
التي تفرَّقت بعضها عن بعض
بأنواعٍ كثيرة وطُرُقٍ مُتعدِّدة.
فليس شيءٌ يُميِّز المسيحي مثل أن يكون صانعًا للسلام.
لذلك أيضًا قد وعدَنا الربُّ بمكافأةٍ عُظمَى لهذا العمل.
ولذلك لمَّا قابلتُ الإخوة،
ونظرتُ مودَّتَهم الأخويَّة الفائضة ومحبَّتَهم من نحوكم،
بل ومحبَّتهم الأكثر جدًّا للمسيح،
وأصالة إيمانهم ومتانته،
وأنَّهم يُظهِرون غيرةً كبيرة لكِلَا الأمرَين:
أن لا ينفصلوا عن محبتكم،
وأن لا يتخلَّوا عن الإيمان الصحيح؛
فإذ استحسنتُ نَهْجَهم الصَّالح، أُرسِل لقداستكم،
طالبًا أن تعتبروهم بكلِّ محبَّةٍ متَّحدين بكم ومُقرَّبين،
وشركاءَكم في كلِّ غيرتكم من نحو الكنيسة**].**

(الرسالة ١١٤)

مرقس: يصدرها ديـر القدِّيس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظَر إرسال أيَّة نقود داخل المظروف بالبريد
ويُسدَّد الاشتراك عن طريق خدمة
أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كلّ عام

ثمن النسخة ١٥ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
١٥٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (بالبريد)
٤٠٠ جنيه: في البلاد العربية
١٠٥ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
يُسدَّد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**
عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

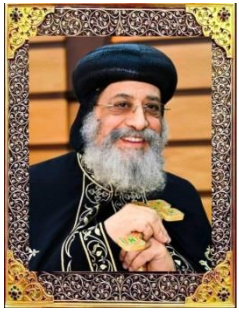

الافتتاحية

«لَا يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ»
(١تس ٥: ١٥)

لصاحب القداسة
البابا تواضروس الثاني

وصايا قصيرة جدًّا

✠✠✠

«لَا يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَن شَرٍّ بِشَرٍّ» (١تس ٥: ١٥):

الشرُّ هو عدم وجود الخير تمامًا، كما نقول إنه لا يوجد كيانٌ وجودي للظلام، ولكن غياب النور يُمكن أن نُسمِّيه ظلامًا؛ كما إنَّ غياب الحياة نُسمِّيه موتًا، وغياب الخير نُسمِّيه الشر.

الله لم يخلق عالم الشر. الشرُّ هو شيءٌ سلبي، هو انحرافٌ عن الخير. هناك في الحياة أشياء كثيرة يمكن أن نستخدمها في الخير، والانحراف في استخدامها يكون هو الشر.

لماذا يسمح الله بالشرِّ؟

إساءة استخدام الشيء تُحوِّله إلى شر، فالله لا يُريد الشر، ولكنه قد يسمح به كثيرًا. وهنا نسأل: لماذا يسمح الله بالشرِّ أو بالانحراف عن الخير؟ ذلك لأنَّ الله أعطى الإنسان حريَّةً ليتصرَّف، ويختار، ويصنع مصيره.

درجات من مُجازاة الشرِّ بالشرِّ:

هناك مَنْ يردُّ على الشرِّ بطُرُقٍ عِدَّة:

١. بعدم المواجهة أو بالابتعاد عنه:

في العهد القديم نقرأ عن موسى النبي، عندما أراد أن يمرَّ هو وشعبه في أرض أدوم (أبناء عيسو)، أرسَلَ رُسُلًا ليستأذن من مَلِك أدوم، بأن يسمح له بالمرور دون أن يأكلوا من ثمارهم شيئًا، ولن يأخذوا ماءً، ولن يتفحَّصوا شيئًا مِمَّا على يمينهم أو يسارهم؛ فرفض مَلِك أدوم وقال له: «لَا تَمُرُّ بِي لِئَلَّا أَخْرُجَ لِلِقَائِكَ بِالسَّيْفِ» (انظر: عد ٢٠: ١٤ – ١٨).

فعَرَضَ موسى أن يدفع ثمن المياه التي سيستخدمها شعب بني إسرائيل، فرفض ملك

أدوم بإصرارٍ وهدَّد بأن يُحاربه، فكانت النتيجة أنَّ موسى ابتعد عن الشرِّ.

٢. الرَّدُّ بفكرِ الشرِّ:

إنَّ الإنسان في هذه الحالة عندما يتعرَّض للشرِّ يواجهه بشرٍّ، ولكن هذا الشر يكون على مستوى الفكر فقط. وكمثال لذلك، شخصٌ يتعرَّض لشرٍّ أو إساءَةٍ من شخصٍ آخر، فيواجه هذا الشر بالغضب الداخلي، بمعنى أن يقول بعض الكلمات الحادة التي تُعبِّر عن هذا الغضب، مثل طلب الانتقام منه أو ما يُعبِّر به عن غضبه.

٣. الردُّ بفعلٍ مُماثل:

أي إنَّ الإنسان يواجه الشرَّ بشرٍّ مثله بالضبط، بمعنى أنه إن تمَّ توجيه شتائم إليه يردُّ عليها بشتائم مثلها بالضبط، وإن وجَّه أحدٌ إليه إهانة يردُّ عليها بإهانةٍ مثلها، وهكذا ... ولكن كل هذا ليس حسب الوصيَّة المسيحيَّة.

٤. الرَّدُّ بفعلِ الشرِّ:

أي مَنْ يواجه الشرَّ بالفعل، مثل اثنين يصل الخلاف في الحوار بينهما إلى حدِّ أن يقوم أحدهما أثناء النزاع مع الآخر ويقتله. وهنا شرُّ الكلام تحوَّل إلى شرِّ أفعالٍ ووصل إلى مرحلة الإيذاء.

وقد يقوم إنسانٌ بشرٍّ مُعيَّن، فيقوم الآخر بشرٍّ أصعب منه؛ لكن المسيحيَّة تُعلِّمنا قائلة: «انْظُرُوا أَنْ لَا يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ» (١تس ٥: ١٥).

٥. الردُّ على الشرِّ بشرٍّ أكبر:

لقد اندفع شكيم واغتصب دينة ابنة يعقوب، فكان الانتقام بردٍّ أكبر، أنَّ أولاد يعقوب قتلوا كلَّ رجال شكيم وسبوا غنائمهم ونساءهم، وذلك انتقامًا لِمَا فعله شكيم مع دينة أختهم (تك ٣٤).

٦. أسوأ أنواع الشرور مَنْ يُجازي عن الخير شرًّا:

بعد أن كان شاول يُخطِّط في نفسه سرًّا للتخلُّص من داود لم يستطع أن يكتم الأمر في نفسهِ، وخاصةً بعد نجاحات داود المُتتالية. ولهذا أعلن لابنه يوناثان ولرؤساء جيشه المُقرَّبين منه برغبته في أن يقتل داود، رغم أن داود صنع معه خيرًا وأنقذه كثيرًا من الفلسطينيين (١صم ١٩: ١ – ٧).

٧. نُشتَم فنُبارِك:

المسيحيَّة توصي بمُقابلة الشرِّ بالخير: «لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ» (رو ١٢: ٢١).

والأكثر من هذا أننا نسمع وصيَّة مكوَّنة من كلمتين، والكلمتان عكس بعضهما البعض، وهي مثل: «نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ» (١كو ٤: ١٢). فقد تَرُدّ على مَنْ يشتمك بشتيمةٍ مثلها، ولكن الأجمل أن تردَّ عليه بعبارةٍ جميلة مثل: "الله يُبارِكْك". وهذا هو سموُّ المسيحيَّة، وبالطبع هذا الردّ يحتاج إلى نفسٍ قويَّة.

أسباب الاندفاع للشرِّ:

(١) الشيطان:

إنَّ السبب الأول لعمل الشرِّ هو بلا شكٍّ الشيطان. فالشيطان (سطانائيل) كان ملاكًا، وأراد أن يرفع كرسيَّه فوق كرسي الله، فانحدر من رتبته: «قَدِ ارْتَفَعَ قَلْبُكَ لِبَهْجَتِكَ. أَفْسَدْتَ حِكْمَتَكَ لأَجْلِ بَهَائِكَ» (حز ٢٨: ١٧). وصار شيطانًا بالاستكبار، كما نقول في مديحة كيهك.

ويقول عنه الكتاب المقدس: «ذَاكَ كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ» (يو ٨: ٤٤). فالشيطان هو الذي يُحرِّك الناس لفعل الشرِّ، فيضع أفكارًا في عقل الإنسان تجعله يقع في شرورٍ كثيرة.

ويقول **القدِّيس دوروثيئوس:**

[الذي هزم الانفعال فقد هزم الشياطين. فالشيطان يحثُّ الإنسان على مقاتلة أخيه الإنسان، فيُدبِّر أسبابًا ويحبكها ويملأ قلب الإنسان غيظًا وحَنَقًا ورغبة في القتال].

(٢) الكرامة والذات:

قد يُجازي الإنسان شرًا بشرٍّ من أجل كرامته أو من أجل حقوقه. وهناك عبارة نقولها كمصريين دائمًا: "كرامتي أُهينت ... حقوقي ضاعت ... أنا سأرُدُّ بالمِثْل". وهذا يكون على كلِّ المستويات، فقد يكون هذا في البيت الواحد أو الخدمة أو الكنيسة أو الدير سواء كان للرهبان أو للراهبات ... إلخ. انظر قصة هامان ومردخاي في سِفْر أستير.

(٣) روح الانتقام:

الإنسان أحيانًا قد يسمح لنفسه أن يتكوَّن في داخله روح الانتقام، وهذا الانتقام ليس شرطًا أن يكون في نفس اللحظة، ولكنه قد يكون على مدى فترةٍ طويلة يُخطِّط له روح الانتقام.

وهذا ما جعل مُعلّمنا بولس الرسول يقول: «لَا تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: "لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ"» (رو ١٢: ١٩).

مثال: أبشالوم وأمنون (٢صم ١٣). بعد أن أخطأ أمنون مع ثامار وهي أُخته غير الشقيقة، أخذت تبكي ضياع عذراويتها. وبعد سنتين انتقم لها أبشالوم وقتل أمنون.

(٤) عدم الاحتمال:

يدفع للشرِّ أيضًا عدم الاحتمال، فيوجد شخصٌ هشٌّ ويوجد آخر لديه قدر من الاحتمال، ونحن نُصلّي كلَّ يوم في صلاة باكر قائلين: «مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ، مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ ...» (أف ٤: ٢ – ٣). فصلاة باكر تُذكِّرنا أن نحتمل بعضنا بعضًا وذلك قبل خروجنا من منازلنا، لأننا قد نجد مَنْ يُضايقنا أو مَنْ يُحاول أن يصنع معنا شرًّا أو يقول كلمة شريرة أو غير لائقة أو ... إلخ. وهنا نتذكَّر الوصية: «مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ».

نتائج الاندفاع للشـّر:

وهنا نسأل: لماذا توجد وصية «لَا يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَن شَرٍّ بِشَرٍّ»؟

الإجابة: لأن نتائج صُنع الشر أو تبادُل الشر هي نتائج مُدمِّرة.

(أ) الحرمان من التناول:

لا يحقُّ للذي يفعل شرًّا أن يتناول دون توبة واعتراف، فالكتاب يقول: «فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ» (مت ٥: ٢٣ - ٢٤).

(ب) الحرمان من الملكوت:

يُعلّمنا الكتاب: «كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ» (١يو ٣: ١٥).

(ج) الاضطراب والقلق:

الإنسان الذي يصنع شرًّا لا يجد راحةً أبدًا ويفقد سلامه الداخلي والمحبَّة والفرح، لأنه يكون متوتِّرًا. وعندما نقرأ عن الجريمة، نعرف أنَّ مرتكب الجريمة يحوم حول مكان الجريمة، وذلك بسبب حالة الاضطراب والقلق التي أصابته والتي تصل أحيانًا إلى حدِّ المرض النفسي.

فالشرُّ نتيجته تنعكس على الإنسان الذي يصنعه؛ أمَّا الإنسان الذي يصنع خيرًا، فإنه يجد راحة.

علاج الاندفاع للشرِّ:

١ – التمثُّل بالسيِّد المسيح في المغفرة:

اذكر السيِّد المسيح والآلام التي احتملها من أعدائه دون أن يردَّ أو يُهدِّد أو يغضب، فقد قيل عنه: «ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ» (إش ٥٣: ٧)، وغفر لصالبيه قائلًا: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو ٢٣: ٣٤).

جرِّب أن تقف بشجاعة أمام نفسك وتحلَّ المُشكلة بكلمةٍ طيِّبة، كما علَّمنا الكتاب: «كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَاتٍ؟» (مت ١٨: ٢١).

هذه هي مسيحيتنا، وهذا هو الإيمان المسيحي، وهذه هي الوصية الكتابيَّة.

٢ – بالعتاب:

حتى لا تندفع إلى الشرِّ تعلَّم العتاب الراقي، بمعنى العتاب الذي يُقال في صورة المحبة، أي العتاب المبني على أرضيَّة المحبة.

فمَنْ يُعاتِب لا بد أن يختار كلماته بعنايةٍ فائقة، لأنه قد تُفسِد كلمة واحدة علاقة كبيرة. فاجعل دائمًا عتابك هادئًا، وهذا ما صنعه السيِّد المسيح حتى مع الكَتَبَة والفرِّيسيين الذين كانوا يُقاومونه كثيرًا.

٣ – ضبط النفس:

ضبط النفس وقَتْل الغضب يُساعداننا على عدم مقابلة الشرِّ بالشرِّ، فالإبطاء في الغضب يجعل الإنسان يجتاز مرحلة الانفعال. فالكلمات في حالة الغضب تخرج بلا ضابط، وكثيرًا ما تكون خاطئة جدًّا وتُسبِّب المشاكل.

ضبط النفس يُساعدك على أن لا تُجازي عن شرٍّ بشرٍّ؛ وضبط النفس يُسمَّى Self Control، وهو قادرٌ على أن يُحوِّل المشاعر السلبية.

مثال: داود ونابال الكرملي (١صم ٢٥).

البابا تواضروس الثاني

لقاء مُمثِّلي الكنائس الأرثوذكسيَّة حول العالم بالمقرِّ البابوي بدير الأنبا بيشوي

شهد المقر البابوي في دير القدِّيس الأنبا بيشوي بوادي النطرون، على مدار يومَي ١٦ و١٧ سبتمبر انعقاد مؤتمر ممثِّلي الكنائس الأرثوذكسيَّة حول العالم، بعد توقُّف دام حوالي ٣٤ سنة منذ آخر لقاء عام ١٩٩٠م في حبرية مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث.

ناقش المُشاركون، خلال المؤتمر، عددًا من الموضوعات الإيمانية والاجتماعية في مجالَي الرعاية والخدمة الكنسيَّة، تحت شعار **"مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا"** (٢كو ٥: ١٤)، حيث جلس المُشاركون حول مائدة مستديرة.

المائدة المستديرة التي دارت مباحثات المؤتمر حولها

ودارت المناقشات في جوٍّ من المحبة والتعاون الكامل. وقد مثَّل كلَّ كنيسة عضوان من

كلٍّ من: روسيا، وتركيا، واليونان، وبلغاريا، ورومانيا، وقبرص، والقدس، وسوريا، ولبنان، وأرمينيا، وبولندا، ومصر، وإريتريا، وألبانيا.

افتُتح المؤتمر بكلمة ترحيب من قداسة البابا تواضروس الثاني، ورسالة محبة من قداسة البطريرك المسكوني برثولماوس الأول قرأها مندوب البطريركية المسكونية في تركيا. واتفق الحاضرون على مواصلة اللقاءات وتبادُل الزيارات في الفترة المُقبلة، تدعيمًا لخدمة الكنائس الأرثوذكسية ومواجهة التحدِّيات الاجتماعية التي تؤثِّر على الأسرة المسيحية بكافة الأشكال (عن موقع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ١٧ سبتمبر ٢٠٢٤م).

قداسة البابا يُرحِّب بالحضور في كنيسة التجلّي:
"إقامة علاقات محبة في المسيح مع الصلوات المستمرَّة، ينقلنا جميعًا إلى قلب ربنا يسوع المسيح"

ودارت المناقشات في جوٍّ من المحبَّة

وقد أصدر المؤتمر البيان المشترك التالي:

بيان

تلبية لدعوة قداسة البابا تواضروس الثاني، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، لإقامة اجتماع تمهيدي للكنيسة الأرثوذكسية (البيزنطية) والكنائس الأرثوذكسية الشرقية، تحت شعار **"مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا"** (٢كو٥: ١٤) بهدف وحدة الكنائس الأرثوذكسية، اجتمع ممثِّلون لهذه الكنائس في مركز لوغوس البابوي بدير الأنبا بيشوي بوادي النطرون – مصر، يومَي ١٦ و١٧ سبتمبر ٢٠٢٤م.

وأول ما اجتمع أعضاء المؤتمر باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، اشتركوا في صلاة في كنيسة التجلّي قادها قداسة البابا تواضروس الثاني، الذي رحَّب بجميع المُجتمعين بفرحٍ صادق، وأكَّد أنَّ "إقامة علاقات محبة في المسيح والتعمُّق في فهمنا لبعضنا البعض، والحوار المستمر مع الصلوات المستمرة، ينقلنا جميعًا إلى قلب ربنا يسوع المسيح". وإننا "نحتاج إلى صوتٍ أرثوذكسي موحَّد مبني على رؤية مشتركة للمُعضلات الاجتماعية العامة التي تواجه كنائسنا الآن".

وقد أكَّد قداسة البطريرك المسكوني برثولماوس في رسالته على أنَّ "اهتمامنا وتكريس جهودنا لقضية الوحدة المسيحية، النابع من إحساسنا بالمسؤولية ومن اقتناعنا بأنَّ تفاهُمنا المتبادَل وتعاوننا معًا، لهما أهمية أساسيَّة، ذلك إن كنَّا لا نريد أن «نَجْعَلَ عَائِقًا لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ» (١كو ٩: ١٢). وأن يكون هدفنا المشترك هو 'استعادة للوحدة الكاملة في الإيمان الحقيقي والوحدة الصادقة' ".

وقد قام الرئيسان المُشاركان للجنة الحوار اللاهوتي بين الكنيسة الأرثوذكسية (البيزنطية) والكنائس الأرثوذكسية الشرقية، وهما: نيافة المطران عمانوئيل مطران خلقيدون (عن البطريركية المسكونية)، ونيافة الأنبا توماس مطران القوصية ومير (عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية)، بتقديم مقدِّمة عن مراحل الحوار السابقة وإنجازاته، والتوصيات الخاصة بالمراحل القادمة. وقد استعاد المطران عمانوئيل ذِكْرى نيافة الأنبا بيشوي مطران دمياط والرئيس المُشارك السابق، الذي قام بدورٍ بارز وحاسم مع الرئيسَين المُشاركَين السابقَين:

المطران داماسكينوس مطران سويسرا، والمطران خريزوستومس مطران ميرا، في مجهودهم الذي لا يكلُّ لتحقيق تقدُّم سريع للحوار اللاهوتي. ثم أشار نيافة الأنبا توماس إلى الحاجة المُلحَّة لتفعيل اتفاقيات الحوار. وأشار نيافته إلى أنَّ صوت الإيمان الأرثوذكسي في أيامنا هذه يستطيع أن يُعطي رجاءً للشعب، ويستعيد دور المسيحية إزاء هشاشة المجتمع في عالم اليوم.

وقد اجتمع مُمثِّلو العائلتَين الأرثوذكسيتَين في جوٍّ من المحبة الأخويَّة حول مائدة مستديرة. وقد اعترفوا بمراحل الحوار الناجحة، وبحثوا الخطوات العملية المطلوبة لاستعادة الشركة الكاملة، معتبرين ضرورة وَضْع "خريطة للطريق" تسبق وتُعدُّها مجموعة عمل من المندوبين الرسميين، يجتمعون في أثينا يومَي ٢٤ و٢٥ نوفمبر ٢٠٢٤م، وقد تبعت ذلك مناقشة مثمرة. وقد ناقشت اجتماعات منفردة لكلٍّ من العائلتَين المواضيع من وجهة نظر كلِّ عائلة، ثم تلا ذلك عدَّة جلسات عامة ناقشت موقف كلِّ كنيسة من الاتفاقيات المشتركة، وكيفية تفعيلها، والخطوات المؤدِّية إلى ذلك، وكيف نتعامل معًا إزاء التحدِّيات المُعاصرة، بما فيها من قضايا اجتماعية وأخلاقية تواجه الأرثوذكس.

وقد واجه جميع الأعضاء، بصوتٍ واحد وبإخلاص لتقليدنا المشترك اللاهوتي والكتابي والآبائي، الأزمات المُتعلّقة بالأمور الأُسريَّة والتحدِّيات الإنسانية الحاضرة اليوم في المجتمع العلماني. وقد عبَّروا عن رجائهم في أن يصير جميع المسيحيين سفراء (٢كو ٥: ٢٠) لرسالة المسيح في العالم المُعاصر، حتى يتجلَّى العالم بنور الحقِّ والحكمة.

إنَّ كنائسنا بعائلتَيها تعتبر اتِّحاد المحبة الذي لا ينفصم بين رجل وامرأة في سرِّ الزيجة المقدَّس "سرًّا عظيمًا" (أف ٥: ٣٢)، يعكس علاقة المسيح بالكنيسة، بعكس بعض المفاهيم المُعاصرة عن الزواج. فمِن هذا الاتِّحاد تتولَّد الأسرة المُعتَبَرة أنها الأساس الوحيد لولادة الأطفال وتربيتهم بحسب القصد الإلهي. فكنائسنا بالتالي تعتَبِر أنَّ الأسرة "كنيسة صغيرة"، وتُقدِّم لها التعضيد والاهتمام الرعائي المناسب.

وكنائسنا ترفض تمامًا إباحة العلاقات الجنسيَّة المثلية بما يُسمَّى: "الحرية البشرية المُطلقة"، الأمر الذي يتسبَّب في الإساءة للبشرية. فكنائسنا، مع اعترافها بالإيمان الكامل بحقوق الإنسان وحريته، إلَّا أنَّها تُقرُّ بأنَّ حرية المخلوق ليست مطلقة حتى يُخالِف ويكسر وصايا خالقه.

والمشتركون وافقوا بالإجماع على ما يأتي:

١) بأن تستمرَّ في عملها كلٌّ من اللجنتَين المشتركتَين الفرعيتَين الخاصتَين بالأمور الطقسيَّة والرعائيَّة؛

٢) وبأن يقوم كلٌّ من الرئيسَين المُشاركَين بزيارة رؤساء الكنائس الأرثوذكسية (البيزنطية) والأرثوذكسية الشرقية، ليُوافوهم بنتائج الحوار الإيجابية، ويأخذوا رأيهم فيما يخصُّ القرارات المُتَّفق عليها والاقتراحات؛

٣) بأن يتمَّ إنشاء موقع إلكتروني مشترك يحوي كلَّ المستندات الخاصة بمراحل الحوار السابقة اللازمة للأعضاء الجُدُد الذين ينضمُّون إلى اللجنة المشتركة بتكليفٍ من كنائسهم، لتسهيل عملية اتِّخاذ القرارات الجديدة؛

٤) بأن تقوم كلٌّ من عائلتَي الكنائس الأرثوذكسية بدعوة كلِّ مستويات الإكليروس والرهبان والعلمانيين للاشتراك في تقدُّم الحوار.

وحيث إنَّ سنة ٢٠٢٥م ستكون فيها الذِّكرى المئوية السابعة عشرة لمجمع نيقية، وأنَّ جميع المسيحيين سيحتفلون فيها بعيد القيامة في تاريخٍ واحد؛ يتمنَّى المُمثِّلون لعائلتَي كنائسنا بأن يحتفل جميع المسيحيين حول العالم بعيد القيامة في موعدٍ يُطابق التقليد القانوني لمجمع نيقية، وحساب تاريخ الفصح الأرثوذكسي.

وفي الجلسة الأخيرة، عبَّر جميع المُشتركين عن شكرهم لربِّنا القائم يسوع المسيح، الذي منحهم أن يجتمعوا معًا لفترةٍ من التأمُّل الداخلي، ونمو اهتمامهم بالحوار ونتائجه على كافة المستويات في كنائسهم المحليَّة. وقد شكروا الكنيسة القبطية وقداسة البابا تواضروس الثاني على كرمهم الإبراهيمي وعلى ضيافتهم للمؤتمر.

مقال للأب متى المسكين

صوم الميلاد[1]

الصوم هو محور كلِّ عبادة:

الصوم في الكنيسة الأرثوذكسيَّة هو محور كلِّ عبادة فرديَّة أو جماعيَّة. أمَّا بالنسبة للإنسان، فالآباء قالوا: "إذا أردتَ أن تنجح في أيَّة فضيلة روحانيَّة، فابدأ جهادك بالصوم"؛ لأن الصوم هو أول وأقوى عمل لتحويل الطاقة الجسديَّة إلى طاقة روحانيَّة. لذلك أصبح الصوم هو الوسيلة الفعَّالة والناجحة لتزكية كلِّ سيرة روحانيَّة. فبقدر ما يعتاد الإنسان الصوم، بقدر ما تستقر نفسه في علاقتها مع الله، وتنكشف أمامه أسرار الحياة.

ولكن يوجد فرقٌ كبير بين صوم نُمارسه مؤقَّتًا من أجل ظروف خاصة نجتازها، وبين صوم نُمارسه بدون أسباب، حُبًّا في الصوم ذاته كوسيلة لسموِّ الروح وتقرُّبها من الله. فمُمارسة الصوم لأسبابٍ خاصة لها نتائج طيبة، ولكن لا ترفع درجة الروح إلى مستوى ثابت في علاقتها مع الله. أمَّا الصوم حبًّا في الله، فإنه يصير كجناحين يرفعان النفس لتُحلِّق دائمًا في جوِّ الله.

أمَّا الصوم بالنسبة للكنيسة، كجماعة، فهو محاولة ناجحة لجَعْل الصوم بدون أسبابٍ شخصية. فالكنيسة تُحدِّد أصوامًا عامة لمناسباتٍ عامة يصوم فيها كلُّ الشعب تحت نظامٍ موحَّد، حيث يحس كلُّ إنسان أنه يُقدِّم صومه مع صوم الجماعة ليحتفظ بكيانه متَّحدًا معها كثمن أو بالحري كعربون. لعضويته في الكنيسة الحيَّة العاملة والمنتصرة بآنٍ واحد. أي إنَّ الصوم الجماعي يوحِّد الأفراد كجسمٍ واحد، ويُقرِّبهم إلى الله كعروسٍ مُزيَّنة لعريسها.

ما بين الصوم الفردي، والصوم الجماعي:

فإذا كان الصوم الفردي الذي يكون بدون أسباب شخصيَّة، يستطيع أن يرفع مستوى النفس ويُقرِّبها من الله لتستقرَّ في سلامها وفرحها معه؛ فالصوم الجماعي الذي تُحدِّده الكنيسة لكلِّ الشعب، يستطيع أن يرفع الكنيسة كلها إلى مستوى روحي عالٍ ويُقرِّبها من الله

(١) من كتاب: "أعياد الظهور الإلهي"، للأب متى المسكين، الطبعة الخامسة: ٢٠١٤، ص ٩ – ١٢.

ويُدخِلها في سلامٍ دائم معه، هذا إذا أقبل الشعب كله على الصوم بهذه النيَّة وبدون تململ.

والكنيسة في تحديدها لمواسم الصوم ومدَّته، اعتمدت على أمرَيْن أساسيَّيْن:
الأول: المناسبة التي أوحت إليها الصوم في حدِّ ذاتها،
الثاني: حاجة الكنيسة دائمًا وباستمرار إلى الصوم في حدِّ ذاته.

وهذان الأمران هما في حقيقتهما دافعان عظيمان ومُهمَّان جدًّا للصوم يحويان جوهر العبادة كلّه.

مناسبة الصوم نابعة من سرّ الخلاص:

أمَّا المناسبة التي أوحت بالصوم للكنيسة، فهي دائمًا نابعة من سرِّ الخلاص الذي أكمله لنا المسيح، وهي: إمَّا ميلاده أو موته أو قيامته؛ أو حلول الروح القدس وبدء كرازة الرُّسُل باسمه في العالم كلّه؛ أو تقييم الدور الذي أكملته العذراء القدِّيسة مريم في قبولها سر الخلاص الإلهي الذي كان مخفيًّا فيها، والشهادة له حتى يوم الخمسين، إلى أن حلَّ الروح القدس واضطلع هو بالشهادة من بعدها إلى نهاية الزمن.

والعلاقة التي تربط كلًّا من هذه المناسبات بالصوم وتُحتِّمه، هي علاقة روحية سرِّيَّة غاية في الأهمية، إذ يستحيل أن ندخل مثلًا في سرِّ الميلاد الذي هو استعلان الله في الجسد الإنساني، إذا لم نسمو بأفكارنا وحواسنا الجسدية إلى مستوى إلهي. وقد قلنا سابقًا: إنَّ الصوم هو الوسيلة العُظْمَى لتحويل الطاقة الجسدية فكريًّا وعاطفيًّا إلى طاقة روحانية؛ إذًا، فلا مناص من الصوم، إن كنَّا نُريد أن نستعلِن روحيًّا سر الخلاص القائم والمُعلَن في تجسُّد ابن الله، أي في ميلاد المسيح.

الصوم يُهيِّئ الإنسان لإدراك سرِّ التجسُّد:

فالكنيسة حدَّدت صوم الميلاد لتُهيِّئ لكلِّ شخص المستوى الروحي الذي يستطيع من خلاله قبول سرِّ الخلاص القائم والمُعلَنْ في التجسُّد الإلهي، أي في ميلاد المسيح، لأنه يستحيل على الإنسان الطبيعي المُنغمس في الأكل والشُّرب والملاهي، أن يقبل هذا السر الفائق للطبيعة وغير المعقول حتى لدى الحكماء جدًّا. لذلك إذا لم يرتفع الإنسان إلى ما فوق الطبيعة بكلِّ كيانه الجسدي والنفسي (بالصوم)، حتى يتهيَّأ العقل للتفكير، مجرد التفكير في إمكانية التجسُّد وضرورته؛ فلن يستطيع أن يُدرِك هذا السر: «وَلكِنَّ الإِنْسَانَ

الطَّبِيعِيَّ لَا يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا. وَأَمَّا الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ لَا يُحْكَمُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ» (١كو ٢: ١٤و١٥).

فإذا استطاعت الكنيسة أن ترتفع إلى هذا المستوى الروحي كجسدٍ مُتجلٍّ بالصوم ومُتطهِّر، فإنها حينئذ تواجه الميلاد كعيد حقيقي، فيصير لها فرحًا وبهجة، لأنها لا تكون في مواجهة السرِّ الإلهي وحسب؛ بل تدخل فيه كجسدٍ بلغ إلى مستوى سرِّ التجسُّد، أو بحسب التعبير اللاهوتي: "تصير الكنيسة جسدًا سريًّا"، أي يحلُّ فيها المسيح تمامًا كما حلَّ في الجسد الذي أخذه من العذراء! الكنيسة هنا لا تُعيِّد للميلاد الزمني كحادثة تاريخيَّة فحسب؛ بل تُعيِّد للميلاد الحادث في صميمها، تُعيِّد للحلول الإلهي الذي يتجسَّدها!

الصوم يُمهِّد الإنسان لقبول ما للكنيسة:

وهنا كلُّ عضو في الكنيسة يحسُّ بإحساس الكنيسة وينغمر في لُجَّة عطاياها، إن هو انتفع بالصوم لنفسه. إذن، فالصوم يُمهِّد الإنسان لقبول ما للكنيسة، والكنيسة بصوم كلِّ أعضائها تأخذ ما يمكن أن تُعطيه لكل عضو. الصوم هنا سر توحيد، وسر الأَخْذ والعطاء يوحِّد الإمكانيات الفردية لحساب الكنيسة، ويوزِّع العطايا الممنوحة للكنيسة لحساب الأعضاء.

الكنيسة غنية، دائمًا تفيض بعطاياها بكلِّ سخاء، في كلِّ وقت، بسبب استحقاقها المستمر. والكنيسة مستحقَّة لكافة عطايا المسيح بسبب كونها مختارة وجديرة بالاختيار معًا. فالمسيح اختار الكنيسة من وسط العالم وفداها بدمه ليُعلِن فيها غِنَى لُطفه، وعمق محبته، وصِدْق مواعيده وأسراره. والكنيسة بدورها أبرزت للعالم، بواسطة قدِّيسيها وأتقيائها، شهودًا أثبتوا جدارة الكنيسة باختيار المسيح لها، بسيرتهم وحياتهم ونُسكهم وصومهم ومحبتهم التي فاقت حدود الموت! وحتى الآن وإلى الأبد، لا تزال الكنيسة تأخذ من غِنَى لُطف المسيح وعُمق محبَّته وأسراره، وكذلك من ميراث قدِّيسيها ومجدهم المُذَّخر في كنْزها، بآنٍ واحد، وتُوزِّع على أولادها.

الكنيسة، في سرِّ المعمودية، تهب حياةً جديدة بالمسيح:

فإذا فحصنا ما يجري كل يوم في جرن المعمودية، وتأملنا كيف تهب الكنيسة من كنز حياتها سر الحياة الجديدة بالمسيح، أي سر الميلاد لكلِّ مَنْ يُريد أن يعتمد؛ نجد أنها، في نفس الوقت، تُحتِّم على الكاهن المُعمِّد والابن الجديد المُعمَّد أن يصوما معًا قبل إجراء سرِّ

العماد حتى يتمَّ سر الميلاد الجديد! الصوم هنا شرطٌ أساسي للكنيسة والإنسان: الكنيسة يُمثِّلها الكاهن والشمَّاس، والشخص الجديد إمَّا يصوم بنفسهِ، أو إن كان طفلًا يصوم أبواه وإشبينه، وذلك لبلوغ مستوى السرِّ في فاعليته وعطائه وأَخْذه. الصوم هنا مُلازِمٌ لسرِّ الخلاص، بصورةٍ حتميَّة، لأنه لا يُعلنه فحسب كرؤيا فكرية؛ بل هو محسوبٌ مدخلًا أساسيًّا إليه: «اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ» (يو ٣: ٦). هنا يلزم لمَنْ يريد أن يُولَد روحيًّا أن يرتفع على سُلَّم الصوم ليُهيِّئ الإرادة للانتقال من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح.

ما يتم للإنسان في جُرْن المعمودية داخل الكنيسة، هو صياغة عملية مبنية أساسًا على ما تمَّ وما يتمُّ للكنيسة باستمرار حينما تصوم لميلاد المسيح وتُعيِّد له. فالكنيسة باعتبارها جسد المسيح السرِّي، وُلِدَت بميلاد المسيح، وهي لا تزال قائمة حيَّة تشهد لهذا الميلاد وتُمارسه بسلطان حينما تُعمِّد أولاد الجسد، فتحوِّلهم إلى أولاد الروح.

الكنيسة، بصوم الميلاد، تشهد لحياة المسيح التي فيها:

والكنيسة حينما تصوم للميلاد كلَّ سنة، فهي تشهد لحياة المسيح التي فيها؛ وفي نفس الوقت، تُجدِّد قوَّة لتُعطي من هذه الحياة لكلِّ مَنْ يريد أن يعتمد ليأخذ ميلادًا جديدًا من ميلادها، من حياتها، من المسيح المولود فيها!

****

دير القدّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

الأب ديمتري المقاري الراهب الملتزم

والكتاب ٦٤ صفحة (من القَطْع المتوسط)

✠✠✠

جبَّار البأس

الراهب بقطر المقاري

والكتاب ١٢٤ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

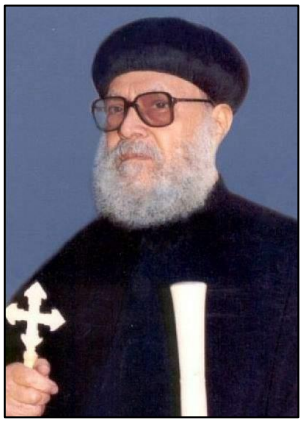

ذكرى الصِّدِّيق
تدوم إلى الأبد

الذكرى العاشرة لنياحة
نيافة أنبا ميخائيل
مطران أسيوط السابق
ورئيس دير القدِّيس أنبا مقار
(١٩٢١/٢/١٩م – ٢٠١٤/١١/٢٣م)

تحلُّ في الثَّالث والعشرين من هذا الشهر (أكتوبر ٢٠٢٤م)، الذِّكرى العاشرة لنياحة طيِّب الذِّكر نيافة الأنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس دير القدِّيس أنبا مقار، هذا الذي قضى في رعاية شعب أسيوط ٦٨ سنة، خدم فيها شعبه بأمانةٍ وبرٍّ واستقامة، يشهد لها القاصي والدَّاني من كلِّ المِلل والطوائف.

❖ كان نيافته بالحقِّ هَرَمًا من أهرامات مصر، ونورًا مُشرقًا في سماء كنيستنا القبطيَّة عَبْر تاريخها كله. يصْدُقُ عليه قولُ الكتاب: «أَمَّا سَبِيلُ الصِّدِّيقِينَ فَكَنُورٍ مُشْرِقٍ، يَتَزَايَدُ وَيُنِيرُ إِلَى النَّهَارِ الْكَامِلِ» (أم ٤: ١٨). عَبَرَ بشعبه القبطي بقوةٍ وشجاعة في كثيرٍ من الأوقات العصيبة، والأزمات الصعبة، ولا سيَّما في فترة السبعينيات، حين أطلَّ الإرهاب البغيض على وجه مصر، وخصوصًا في أسيوط. لا ننسى تعليقه على حرق الكنائس: [كنائس مصر تتحوَّل إلى مجمرة كبيرة تخرج منها النيران لتصل رائحتها إلى السماء من أجل أن يتحنَّن الله على شعبه].

❖ من المستحيل أنْ نوفي هذا الرجل العملاق والجبل الشامخ حقَّه، فهو أكبر من كلِّ الكلمات. هو شخصية ثريَّة، نكاد نقول إنها شامخة، بسبب حياتها المملوءة بالمواقف والإنجازات والتعمير وظهورات العذراء. كان صاحبَ سيرةٍ حيَّة، فقد كان إنجيلًا مُعاشًا، مشهودًا له بالتقوى والنُّسك والقداسة. كان هو الأب الحاني المُحب والراعي لشعبه، ورجل الصلاة والمعجزات وإخراج الأرواح النجسة، فقد حباه الله بمواهب الروح القدس. تميَّز بطلاقة اللسان، فكانت كلماته تتغلغل أعماق النفوس المُتعطِّشة لسماع عظاته وكلماته.

❖ نيافة الأنبا ميخائيل هو رجل النظام والتدقيق في حياته، والذي لا يتهاون في حقٍّ

كنيسته، حتى لو كلَّفه ذلك حياته نفسها. كان رجل السلام، فمع كلِّ الذي نعرفه عنه من قوَّةٍ وحزم وانضباط، إلَّا أنَّ تحيَّة السلام كانت هي شعارَه ودعاءَه لكلِّ مَنْ يلتقيه. وما زالت رنَّة صوته عالِقةً في آذان شعبه، وهو يقول لهم باستمرار في الاجتماعات: "**يا رب سلام**". كان يقولها ليس فقط كتحيَّة تعارُف وبداية كلام؛ ولكن كصلاةٍ وتَمَنٍّ وثقة في الله كمصدرٍ وحيد للسلام.

❖ كان نيافة الأنبا ميخائيل يعتزُّ بصليبه، ولم يُرَ إطلاقًا بدونه، هو يحمله دائمًا مرفوعًا في يده، يُقابل به ضيوفه والمسؤولين بالدولة. حتى في مرضه، كان صليبه موجودًا موضوعًا على صدره. كان يقول دائمًا: "إنَّ قوَّته هي في صليبه".

وأخيرًا، هو السَّخي الجوَّاد، لا يأخذ وإنما يُعطي بكلِّ فرح. نعم، كان نيافة الأنبا ميخائيل – بالحقيقة – رجلَ العطاء.

نيافة الأنبا ميخائيل ودير القدِّيس أنبا مقار:

❖ من المعروف أنَّ نيافة الأنبا ميخائيل ترهَّب بدير القدِّيس أنبا مقار باسم: "الراهب متياس المقاري" سنة ١٩٣٩م، ولم يكن قد أكمل العشرين من عمره. وبعد سنةٍ واحدة، عُيِّن أمينًا للدير. وسريعًا ما يختاره قداسة البابا يوساب الثاني بابا الإسكندرية (البطريرك الـ ١١٥) ليكون مطرانًا على أسيوط، حيث كان كرسيُّها شاغرًا، وذلك خلفًا للمُتنيِّح قداسة البابا مكاريوس الثالث (البطريرك الـ ١١٤) الذي كان مطرانًا لأسيوط قبل تنصيبه بطريركًا. وتمَّت رسامة نيافته في يوم ٢٥ أغسطس عام ١٩٤٦م. كذلك كُلِّف برئاسة دير القدِّيس أنبا مقار ببريَّة شيهيت. ومن الترتيبات الإلهيَّة، أن يكون ذلك في تذكار وصول جسد القدِّيس أنبا مقار إلى ديره، وكأنها إشارة سماويَّة لتربط بين رسامته مطرانًا ورئاسته للدير الذي ترهَّب فيه.

❖ واستمرت رئاسته للدير منذ ذلك التاريخ، يرعاه من موقع كرسيِّه بأسيوط، ويُعيِّن له مَنْ يصلح لتدبير شؤونه تحت إشرافه وتدبيره، ويتفقَّد أحواله بزيارته بين الحين والآخر.

❖ وفي عهد قداسة البابا كيرلس السادس (البطريرك الـ ١١٦) نما إلى علم نيافته أخبار الرهبان الذين خرجوا من دير السريان مع أبيهم القمص متى المسكين، وذهبوا إلى منطقة وادي الريان، وأبدى نيافته تعاطُفه معهم، واستعداده لقبولهم في دير القدِّيس أنبا مقار، إذا سمح قداسة البابا بذلك، وكان ذلك سنة ١٩٦٢م، ولكن الظروف في ذلك الوقت لم تكن مُهيَّأة.

✠ ومرَّت الأيام، وكان نيافة الأنبا ميخائيل ضمن البعثة التي توجَّهت إلى الفاتيكان لإحضار رُفات القدِّيس مار مرقس (٢٢ يونية سنة ١٩٦٨م). وإذ رأى رؤيا بضرورة العودة فورًا إلى مصر، فاستأذن أعضاء البعثة، وعاد بالطائرة، ليُفاجَأ بدعوة قداسة البابا كيرلس بشأن قبول رهبان وادي الريان للحياة في دير الأنبا مقار الذي يُشرف عليه. فكان ترحيب الأنبا ميخائيل شديدًا.

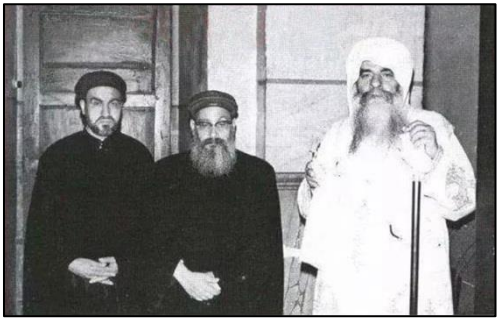

قداسة البابا كيرلس السادس مع القمص متى المسكين والقمص صليب سوريال داخل هيكل الكنيسة المرقسية بالقاهرة، يوم الوصول لدير القدِّيس أنبا مقار

✠ وفي يوم ٩ مايو ١٩٦٩م، كان قدَّاس عيد ميلاد السيِّدة العذراء، وتذكار جلوس قداسة البابا كيرلس السادس. وفي هذا اليوم تمَّ اللقاء الأول الذي جمع نيافة الأنبا ميخائيل والأب متى المسكين في حضرة قداسة البابا كيرلس السادس. ويقول نيافة الأنبا ميخائيل: [كانت هذه أوَّل مرَّة أرى الأب متى، وأنا أحترم الراهب الذي يُدافع عن رأيه بجرأة لأني أنا كنتُ كذلك! إنني لمَّا كنتُ في روما، ظهرت لي السيِّدة العذراء مُتجلِّية بمجدٍ يفوق الوصف، وأمرتني قائلة: "قُمْ اذهب فورًا إلى مصر بالطائرة، لأن ابني مُنتظر مُقابلتك هناك"! فسألتها: "مَنْ هو"؟ فقالت: "ابني متَّى، وأريدك أنْ تُريحه في كلِّ شيء". فقلتُ لها: "حاضر"][1].

ويقول الدكتور حنا يوسف (محاسب قداسة البابا كيرلس السادس الخاص)، وكان شاهد عيان لهذا اللقاء المُبارك: [فوجئتُ بعدها بأنَّ الأنبا ميخائيل قد ضرب ميطانية لأبينا متى؛ فقال أبونا متى: "العفو يا سيِّدنا"، ثم ضرب هو الآخر ميطانية. وظلَّ كلاهما يتبادلان الميطانيات، ثم جلسا جلسة محبة. وكان الأنبا ميخائيل مُتفاهمًا للغاية، ويُلبِّي طلبات أبينا متى حسب وصية السيِّدة العذراء][2].

---

(١) شريط مُسجَّل به القصة الكاملة لمُصالحة قداسة البابا كيرلس السادس مع الأب متى المسكين وجماعته الرهبانية، ودخولهم دير القدِّيس أنبا مقار لتعميره. وهذا الشريط مُسجَّل بصوت المُتنيِّح القمص صليب سوريال الكاهن بكنيسة مار جرجس بالجيزة الذي توسَّط في هذه المُصالحة.

(٢) يُذكر أنَّ نيافة الأنبا ميخائيل عَرَضَ على الأب متى المسكين أن يُساعد الدير من أوقاف دير العذراء بدرنكة، فما كان من الأب متى المسكين أن رفض.

❖ وفي نفس هذا اليوم، توجَّه الآباء جميعًا إلى دير القدِّيس أنبا مقار، وكانت فرحة عارمة لرهبان الدير الذين كان معظمهم كبار السِّنِّ ومرضى، واستقبلوا الآباء بالدفوف والألحان حتى دخلوا كنيسة الأنبا مقار. ويقول الأب متى المسكين: "شعرنا حينئذ كأنَّ أنبا مقار سيخرج من أنبوبته ويستقبلنا!"[٣] .

❖ ومنذ ذلك التاريخ، صار نيافة المطران الأنبا ميخائيل شريكًا لكلِّ ما تمَّ من نهضة روحية وعمرانية حدثت في الدير. وتوثَّقت الصِّلة بينه وبين الأب متى المسكين[٤]. وفي مُراسلاتهما، كان نيافة الأنبا ميخائيل يُخاطب الأب متى وينعته: "التَّقي المُبارك القمص متى المسكين". وأعطاه الحرية لكي يُعيد تجديد مباني وآثار الدير الآيلة للسقوط. وفي المقابل، كان الأب متى دائمًا يستشير نيافته في بعض الأمور، أو يُبلغه بأمورٍ حدثت بالدير.

وفي إحدى المرات، أرسل أبونا متى يطلب الإذن من نيافة الأنبا ميخائيل لهدم سور الدير القديم لتهالكه، وبناء سور جديد. ولكن كان ردُّ نيافته بالتأجيل، وأنَّه سوف يأتي وقته، فأطاع أبونا متى. وعاد وأرسل لنيافته وقال: "أقول لنيافتك: صدقتَ، يا سيِّدنا، ونحن لم نمُدَّ أيدينا عليه، ولكنه بعد أيام قليلة سقط في مكانه".

❖ كان نيافة الأنبا ميخائيل مُنتظمًا في زيارة الدير سنويًّا، والبقاء فيه لمدَّة أسبوع على الأقل، وغالبًا ما كان ذلك في عيد شفيعه رئيس الملائكة ميخائيل، أو في عيد آبائنا الرُّسُل. وفي أثناء هذه الفترة، كان يلتقي نيافته مع الأب متى المسكين في جلساتٍ خاصة، ويتجوَّل في كلِّ أرجاء الدير ومواقع العمل. كما إنَّه كان يلتقي برهبان الدير، ويتعرَّف عن قُرب بهم. وطلب من الأب متى أنْ يأتي بعض الرهبان للخدمة في أسيوط. وفعلًا ذهب الأب يوئيل والأب مكاري (المُتنيِّح الأنبا مكاري فيما بعد أسقف سيناء) والأب أرشيلاوس، وخدموا هناك لمدَّة سنة تقريبًا. وظلت الأمور تسير هكذا حتى نياحة الأب متى المسكين في ٨ يونية ٢٠٠٦م. وكانت هذه التعزية التي أرسلها نيافة الأنبا ميخائيل للآباء بالدير ونُشرت بجريدة وطني في ٢٠٠٦/٦/١٠م: [الأب متى المسكين كان علامة مُضيئة، ونقطة فاصلة، ومرحلة جديدة]، [أبونا متى المسكين كان حلقة ذهبية في سلسلة مُشرقة من آباء الكنيسة]. وفي مرةٍ أخرى

---

(٣) "أبونا متى المسكين، السيرة التفصيلية". طبعة أولى: سنة ٢٠٠٨م، ص ٢٢٩.

(٤) استضاف نيافة الأنبا ميخائيل الأب متى المسكين لقضاء فترة خلوة لمدة شهر في دير العذراء بدرنكة.

قال: [هذا الرجل (الأب متى المسكين) هو هدية السماء لبلادنا، عاش بيننا ومضى عنَّا][٥].

وبعدها أرسل نيافة الأنبا ميخائيل رسالة خاصة للآباء الرهبان بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٤م، أسماها "**رسالة سلام ومحبة**"، قال فيها: [إنْ كان أبونا متى قد رحل عنَّا من الأرض، فهو يشفع فينا هناك في السماء، ويُصلِّي من أجلنا. والبركة التي زرعها وغرسها وترعرعت ونمت في هذا المكان، ستظل باقية وستُعطي ثمارًا كثيرة، ثلاثين وستين ومائة. إنَّكم جميعًا تعيشون في قلبي من الداخل، الكبير مع الصغير].

❖ وظلَّ نيافته رئيسًا للدير حتى يوم ٩ مارس ٢٠٠٩م، حيث قدَّم استقالته لقداسة البابا شنودة الثالث، بسبب ظروفه الصحيَّة، بعد مُضيِّ ما يقرب من ٦٥ عامًا على خدمته كرئيس للدير. ولكن بعد نياحة قداسة البابا شنودة الثالث، توجَّه بعضٌ من رهبان الدير إلى أسيوط لمُقابلة نيافة الأنبا ميخائيل، وهم يرجونه أن يستأنف رئاسته للدير؛ فقَبِلَ هذا الرجاء بكلِّ فرح، وكانت دموعه تسيل من مُقلتيه من الفرح لغيرته على ديره، ولأنه شعر أنَّ تركه للدير تسبَّب في متاعب كثيرة. وكان يقول باتضاعٍ شديد: "اعتبروني واحدًا من مجمعكم".

❖ ولمَّا أحسَّ نيافة أنبا ميخائيل في سنينه الأخيرة عدم قدرته في رئاسة الدير بسبب كِبَر سنِّه ومرضه، وعدم استطاعته القيام بمهام إدارته للدير، ولأجل رغبته المُلحَّة أنْ يطمئن على مَن يخلفه في رئاسة الدير؛ سعى بكلِّ اهتمام لدى قداسة البابا تواضروس الثاني، عقب رسامته بابا الإسكندرية وبطريركًا للكرازة المرقسية بقليل، أنْ يسمح لرهبان دير القدِّيس أنبا مقار أنْ يختاروا من بينهم واحدًا من إخوتهم مشهودًا له بالتقوى لرئاسة الدير. فوافق قداسة البابا على ذلك، وتمَّ انتخاب الراهب إبيفانيوس المقاري أسقفًا ورئيسًا للدير باسم: نيافة أنبا إبيفانيوس، وذلك بتزكية نيافة أنبا ميخائيل الذي أوصاه أنْ يُعيد للدير أمجاده كما اشتهاها نيافته. وقد طلب نيافة أنبا إبيفانيوس من قداسة البابا أنْ يظلَّ اسم نيافة أنبا ميخائيل مذكورًا في القدَّاسات والصلوات طوال حياته بجوار اسم قداسة البابا واسم نيافته، فوافق قداسته. وفي يوم ١٠ مارس ٢٠١٣م، تمَّت رسامة نيافة أنبا إبيفانيوس أسقفًا ورئيسًا للدير.

✞ **اعتراف بالفضل لأصحابه:** عن آخر صفحة من كتاب: "شرح الرسالة الأولى للقدِّيس بطرس الرسول"، للأب متى المسكين، طبعة سنة ٢٠٠٤م:

---

(٥) من كلمة للدكتور القس سامح موريس عن لقائه بنيافة الأنبا ميخائيل، وسؤاله عن الأب متى المسكين.

[والآن أصبح لِزَامًا عليَّ أن أوضِّح للقارئ ماذا كنَّا وما نحن عليه الآن؟!

فقد كُنَّا جماعة رهبان تائهين، كما يقول الكتاب: «فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ»، بعد أن طُرِدنا من الدير، فأرسل نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس دير أنبا مقار بوادي النطرون واستدعانا للمعيشة في ديره العامر؛ فلبَّينا الدعوة، وكانت الدعوة من الله، لأننا بمجرَّد أن استقرَّت أقدامنا في الدير، أرسل الرب لنا قوَّةً ومعونة، فقُمنا وبنينا الدير حسب توجيه نيافة المطران.

وفَتَحَ الرب بصيرتنا، فبدأنا شرح الأربعة الأناجيل المقدَّسة والرسائل الهامة، بتشجيعٍ من نيافة المطران. وهذه هي آخر رسالة لنا أخرجتها مطابع الدير. وبهذا يرتاح ضميرنا، إذ ننسب الفضل لأصحابه. فنحن لسنا أكثر من لاجئين عملنا ما يُرضي مطراننا نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط، كما أرشده الله من نحونا، وهذا ما يُسجِّله التاريخ علينا].

صورة مجمع دير القديس أنبا مقار سنة ١٩٧٠م. يظهر فيها من اليسار إلى اليمين أبونا متى الزُّبِّيتة، أبونا إشعياء، أبونا إرميا، نيافة الأنبا ميخائيل، نيافة الأنبا أندراوس، أبونا يوحنا، أبونا استفانوس، أبونا أليشع، الأب متى المسكين، أبونا كيرلس، أبونا سلامة (الضرير)، أبونا يعقوب، أبونا أنجيلوس، أبونا مينا.

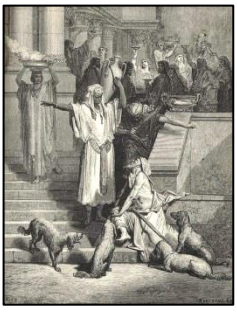

المفاهيم الروحيَّة للتطويبات

للقدِّيس أُغسطينوس(١)
(٣٥٤ – ٤٣٠م)

(٢)

❖✚❖

الكنز الحقيقي هو المحفوظ في السماء:

٦. لا تجعلوا أيَّ أفكار مادية تزحف إلى أذهانكم، لأنني أخبرتكم أن تنقلوا ثروتكم وتضعوها في السماء. فلا تسألوا أنفسكم كيف يمكنكم أن تنقلوا أو ترفعوا ثروتكم من الأرض وتضعوها في السماء؟ وكيف تصعدون إلى السماء، أو بأيَّة وسيلة يمكنكم أن ترفعوا ثروتكم إلى السماء؟ تكفَّلوا بالجياع والعرايا والمُحتاجين، ساعدوا الغرباء والذين في الأَسْر. فإنَّ أولئك سيكونون هم الذين ينقلون ثروتكم إلى السماء.

لعلكم الآن تكونون متعجِّبين وتسألون أنفسكم: كيف يمكن لأولئك أن يكونوا رافعين ثروتنا إلى السماء؟ وكما إنه لم يمكنكم أن تجدوا إجابةً عندما كنتم مُتعجِّبين كيف أمكنكم أنتم أنفسكم أن ترفعوا ثروتكم إلى السماء! هكذا فلعله يمكنكم أن تجدوا إجابةً الآن، بينما أنتم متعجِّبون كيف أن الذين تستأمنونهم على ثروتكم يمكنهم أن يرفعوها إلى السماء؟ فاستمعوا، إذن، لِمَا يُخبركم به المسيح، إذ كأنه يقول: "أعطوني الممتلكات التي لديكم على الأرض، وأنا سوف أُكافئكم هنا (في السماء)". ولعلكم تكونون مُتعجِّبين: كيف يمكن أن تعطوا أيَّ شيء للمسيح، طالما أنه في السماء جالسٌ عن يمين الآب؟ فيمكنكم أن تحتجّوا بهذه الطريقة: عندما كان المسيح هنا في الجسد، فضَّل أن يكون جائعًا من أجلنا، وأيضًا أن يكون عطشانًا وفي حاجة إلى استضافة. ولكن كل احتياجاته كان يزوِّدها له حينئذٍ أشخاصٌ أتقياء قد وُجدوا مستحقِّين أن يستقبلوا ربَّهم في بيوتهم. ولكنه لا يحتاج الآن إلى شيء، لأنه جالسٌ عن يمين الآب بجسده غير الفاسد. فطالما أنه لا يحتاج إلى شيء هنا، فكيف يمكنني أن أُعطيه أيَّ شيء؟ وعندما تحتجُّون بذلك تنسون أنه يقول: «بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ

(1) The Fathers of the Church, vol. 11, p. 357.

إِخْوَتِي هؤُلَاءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ» (مت ٢٥: ٤٠). إنه كرأسنا في السماء، ولكن له أعضاء على الأرض. إذن، فاجعل عضو المسيح يُعطي لعضوٍ آخر للمسيح. اجعل عضوًا لديه شيء يُعطي لعضوٍ محتاج. أنتم أعضاء المسيح ولديكم ما يمكنكم أن تعطوه، والآخر هو عضو في المسيح ويحتاج إلى عطيتكم. وكلٌّ منكما مسافر في نفس الطريق، فأنتما رفيقان في الرحلة.

الفقير توجد على كتفيه أحمالٌ خفيفة، أمَّا أكتافكم فهي مُحمَّلة بأمتعةٍ ثقيلة. فتبرَّعوا ببعضٍ من الحمل الذي يُثقِّلكم، أعطوا بعضًا من أمتعتكم للمحتاج، وحينئذٍ تُقدِّمون راحةً لكلٍّ من أنفسكم ورفيقكم. يقول الكتاب: «اَلْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ يَتَلَاقَيَانِ، صَانِعُهُمَا كِلَيْهِمَا الرَّبُّ» (أم ٢٢: ٢). وأين يتلاقيان سوى في هذه الحياة؟ أحدهما متسربل بملابس ثمينة، بينما يكون الآخر مرتديًا خِرَقًا بالية. وأين يتقابل كلاهما؟ كلٌّ منهما وُلد عريانًا، وحتى الغَني قد وُلد فقيرًا، فدعه يتغاضى عما وجده عندما جاء، ودعه يتفكَّر فيما جاء به معه. إنه كان بائسًا عندما وُلد، فما الذي جاء به معه سوى دموع وعُري؟ ولذلك يقول الرسول: «إِنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ» (١تي ٦: ٧).

فليُرسل الغَني، إذن، مُسْبقًا ما سوف يجده (هناك في السماء) عندما يخرج هو نفسه (من هذه الحياة الأرضيَّة). نعم، هناك واحد فقير وآخر غَني، ولكن الرب خلق كليهما. فقد جعل واحدًا غنيًّا حتى إنه بدوره يتَّجه إلى إعانة الفقير، وقد ترك الآخر فقيرًا لكي يمتحن الغَني. وفي أيٍّ من الاثنين يقول: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ» (مت ٥: ٣). فسواء كانت لهما ثروة أم لا، فإن كانا "مساكين بالروح"، فلهما ملكوت السموات.

«طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ»:

٧. «طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ» (مت ٥: ٥). الودعاء هم الذين لا يُقاومون مشيئة الله. وكيف يُمارسون الوداعة؟ عندما تكون الأمور جيِّدة معهم، يُمجِّدون الله؛ وعندما تكون الأمور رديئة، لا يُجدِّفون عليه. وهم يمجِّدون الله على أعمالهم الصالحة؛ أمَّا عن خطاياهم، فإنهم يلومون أنفسهم. إنهم سوف يرثون الأرض. وأيُّ أرضٍ سيرثونها سوى الأرض التي قال عنها المرتِّل: «قُلْتُ: أَنْتَ مَلْجَإِي، نَصِيبِي فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ» (مز ١٤٢: ٥)!

«طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ»:

٨. «طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ» (مت ٥: ٤). يا إخوتي، إنَّ الحزن هو شيءٌ مكدِّر، لأنه هو نشيج إنسان حزين. وهل يحزن أيُّ أحد سوى لأجل واحد ميت؟ ولكن كل خاطئ يلزمه

أن يحزن على نفسه، طالما أنه لا يوجد شيء آخر ميتٌ مثل إنسان في خطية. ومع ذلك، فكم أن ذلك عجيب! فإذا حزن الإنسان على نفسه، فإنه يعود إلى الحياة مرةً أخرى. فليحزن بواسطة التوبة، وهو سيتعزَّى بالمغفرة!

«طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ»:

٩. «طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ» (مت ٥: ٦). هذا يعني أنه في أرضنا هذه يكونون جياعًا إلى البرِّ. إنه حيث لا أحد يُخطئ، سيكون لهم ملء من البرِّ كما يتمتع الملائكة الأطهار. ولكن بينما نكون نحن جياعًا وعطاشًا إلى البرِّ هنا، فلنواصل قولنا لله: «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ» (مت ٦: ١٠).

«طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ»:

١٠. «طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ» (مت ٥: ٧). بعد قوله عن الجياع والعطاش إلى البرِّ فإنهم يُشبعون؛ فكان من المناسب جدًّا أن يُضيف: «طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ». أنتم جياع وعِطَاش إلى البرِّ، فكونكم جياعًا وعِطَاشًا، تكونون كقارعي باب الله. فبينما أنت تقرع باب الله، يقف إنسانٌ آخر قارعًا بابك. فبأيِّ كيفية تتعامل أنت مع قارع بابك، إذ سيتعامل الله معك بنفس الطريقة!

«طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ»:

١١. «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ» (مت ٥: ٨). إذا مارس أيُّ إنسان كل ما قيل، يكون قلبه الآن قد أصبح نقيًّا. فمثل ذاك الإنسان يكون له قلبٌ نقي، لأنه لا يُظهِر صداقة زائفة، بينما هو يُخفي عداوةً في قلبه. حيثما تُعاين عينُ الله، تمنح يدُ الله إكليلًا. لا تدع في قلبك أيَّ استحسان أو مديح لأيِّ شيء يُبهجك هنا. وإذا سبَّبت لك شهوةٌ شريرة أيَّ إحساسٍ مُبهِج، فلا تسمح بقبول ذلك الإحساس. كُنْ متأكِّدًا من أن تجعل حنايا القلب نقيَّة إذا أردتَ أن تدعو الله ليدخل فيه، ونظِّفه من الداخل حتى يتفضل الله أن يسمعك.

«طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ»:

١٢. «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ» (مت ٥: ٩). مَنْ هم صانعو السلام؟ هم الذين يصنعون سلامًا بين الجميع. هل ترى شخصَيْن متخاصمَيْن فيما بينهما؟ حاول أن تعمل سلامًا بينهما. قُل لأحدهما كلامًا جيِّدًا عن الآخر، وللآخر قل كلامًا جيِّدًا عن الأول. وقد يُخبرك أحدهما عن سبب غضبه بأمرٍ رديء عن الآخر، فلا تكشفه. اخفِ في

قلبك أيَّة تعليقات مذمومة تسمعها من الإنسان الغاضب. اجعل الانسجام هو الهدف المُخْلِص لنصيحتك.

إذا أردتَ أن تصنع سلامًا بين اثنين متخاصمَيْن من أصدقائك، ابدأ بصُنع سلام مع نفسك. فينبغي أولًا أن يكون لديك سلامٌ بداخلك، حيث تكون الآن مُصارعًا ومُناضلًا مع نفسك كل يوم. اتَّخذ حال الإنسان الذي قال: «الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لَا تُرِيدُونَ» (غل ٥: ١٧). فتلك هي كلمات الرسول القدِّيس ذاته الذي يقول أيضًا: «فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، وَلكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي» (رو ٧: ٢٢ و٢٣). فهل لم يكن لدى ذلك الإنسان صراعٌ بداخله؟ فإن كان هناك صراعٌ يومي بداخل الإنسان، وإذا حدث بجهدٍ مُخْلِص ومستحق للمديح أن يمنع شهوته الدنيئة من الهيمنة على قدرته الأكثر سموًّا لكي يمنع الشهوة من التغلُّب على الذهن، ويمنع الشهوة من أن تتغلَّب على الحكمة؛ حينئذٍ يكون هناك سلامٌ حقيقي يلزمك أن تبلغ إليه في داخلك.

طالما نحن لا نتوافق مع شهواتنا الجسدية، فإننا نكون كأننا مشغولون في حرب ضدَّها. ولكن عندما يكون الموت قد بددته النصرة (التي حقَّقها الرب يسوع)، فلن يوجد أيُّ صراع. استمعوا: لماذا لن يكون هناك صراعٌ حينذاك؟ هذا هو ما يقوله الرسول: «لأَنَّ هذَا (الجسد) الْفَاسِدَ لَا بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسَ عَدَمَ مَوْتٍ ... فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: "ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ"» (١كو ١٥: ٥٣ و٥٤). لقد انتهت الحرب، وخُتِمَت بسلام. فاستمعوا لصياح المنتصرين: «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» (١كو ١٥: ٥٥). ومعنى صيحة المنتصرين هذه، هو أنه لن يبقى أيُّ عدوٍّ من أيِّ نوع، ولن يكون هناك أيُّ صراعٍ وأيُّ هجومٍ من الخارج. ومِن ثمَّ فإنه «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ».

«طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ»:

١٣. «طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ» (مت ٥: ١٠). والسبب المذكور: "من أجل البرِّ"، يوضِّح الفرق بين الشهيد واللِّص. فحتى اللِّص يُعاني من الاضطهاد والطرد، ولكنه يُعاني منه بسبب أعماله الشريرة، فهو لا يطلب أن يربح إكليلًا، فهو يُعاني من عقوبة عادلة، وليست العقوبة هي التي تجعله شهيدًا.

عندما تحمَّل المسيح آلامه، كانت هناك ثلاثة صلبان في نفس المكان. وإذ كان معلَّقًا على

الصليب الأوسط، كان هناك لصٌّ معلَّقًا بجانبه اليمين وآخر عن يساره. وإذا تفكَّرتَ فقط في آلامهم، فلن تجد أيَّ حالات متشابهة. ومع ذلك، فقد ربح أحد اللِّصَّين الفردوس بواسطة الصليب، لأن المسيح وهو يتصرَّف كقاضٍ، بينما هو معلَّقٌ على الصليب الأوسط، حَكَم على اللِّص المُتكبِّر، واهتمَّ بإعانة اللِّص المتواضع. فقد أصبح صليب المسيح هو كرسي قضاء المسيح. وحيث إنه كان لديه ذلك السلطان، وهو تحت الحُكْم، فماذا سيكون سلطانه عندما يأتي ليُصدر الحُكْم (يوم الدينونة)؟ لقد قال المسيح للِّصِّ الذي اعترف بخطاياه: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لو ٢٣: ٤٣). لقد كان ذاك اللِّص متَّهمًا لذاته، ولكن مِمَّ اتَّهم نفسه عندما قال: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لو ٢٣: ٤٢)؟ هذا هو ما قصده: "أنا أعترف بالشرور التي ارتكبتُها، فدعني أُصلَب حتى تأتي أنت في ملكوتك. وحينئذٍ، لأن «مَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ، وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ» (مت ٢٣: ١٢)"، فقد نطق المسيح بحُكْمه في الحال ومنحه المغفرة. لقد قال: «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»، ولكن ألم يُدفَن جسد الرب (المتَّحد بلاهوته) في القبر في ذلك اليوم؟ على أيِّ حالٍ، فإنَّ جسد الرب كان لا بدَّ أن يكون في القبر. نعم، وكانت نفسه (البشرية المتَّحدة بلاهوته) لا بدَّ أن تكون في الجحيم، ولا تبقى دائمًا في الجحيم؛ بل كان لا بدَّ أن يُحرِّر الرب الذين كانوا ما يزالون في الجحيم (الذين آمنوا بشخصه الإلهي). وحيث إنَّ نفسه (البشرية) كانت في الجحيم في ذلك اليوم، وأن جسده كان لا بدَّ أن يكون في القبر (دون أن يفترق لاهوته لا من جسده ولا من نفسه البشريَّة)، فكيف أمكنه أن يقول: «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» وهو على الصليب؟ هل لا يوجد شيء أكثر من الجسد والنفس في شخص المسيح؟ هل خَفِيَ عنك أنه «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ» (يو ١: ١)؟ وهل خَفِيَ عنك أنَّ المسيح هو «... قُوَّةَ اللهِ وَحِكْمَةَ اللهِ» (١كو ١: ٢٤)؟ لذلك، فإنَّ الربَّ كان يتكلَّم عن شخص الله الكلمة عندما قال: «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»، أي إنه كأنه يقول: "بخصوص نفسي (البشرية) أنزل إلى الجحيم؛ أمَّا بخصوص لاهوتي، فإنني لا أُغادر الفردوس".

١٤. يا أحبَّائي الأعزَّاء، لقد شرحتُ، بأفضل ما في إمكاني، جميع التطويبات التي نطق بها المسيح، ومع ذلك فإنني أرى أنكم شغوفون أن تسمعوا أكثر من ذلك. إنَّ حبَّنا لكم قد دفعنا أن نُطيل الكلام. فلعله أمكننا أن نقول أكثر من ذلك، ولكن من الأفضل أن تتأملوا بعناية وتتمثَّلوا بما قيل بطريقةٍ نافعة.

بمناسبة
صوم الميلاد

رؤيا إشعياء ظلال التجسُّد[١]

للقدِّيس ميثوديوس[٢] الأولمبي[٣]

❖✚❖

تعود أهمية القدِّيس ميثوديوس إلى كونه أحد آباء الكنيسة الجامعة، الذي تسلَّم تقليدها الشفاهيّ المُتواتر من الآباء الرُّسُل. كان أسقفًا في آسيا الصغرى وتكلَّل بالاستشهاد. وهذه المنطقة قد نالت زَخمًا غنيًّا من كرازة الآباء تلاميذ الرب يسوع المسيح ورُسُله، كونها الأقرب لليهودية والطريق البري الرئيسي الذي منه تنطلق الكرازة لكلِّ المسكونة. ولعل حياة القدِّيس في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع قبيل مجمع نيقية، تؤكِّد في وضوح لا لَبْسَ فيه أصالة كافة القوانين والعقائد والأفكار التي أقرَّها وثبَّتها المجمع النيقاوي المقدَّس، وما تلاه من مجمعَي القسطنطينية ثم أفسس. إن أقوال ميثوديوس هي بلا شكٍّ "المِسْكُ الأَصليّ".

كلمات القدِّيس ميثوديوس:

تعالَ، إذًا، يا إشعياء كُلِّي الوقار من بين المُبشِّرين، والعظيم بين الأنبياء. واكشف بحكمةٍ للكنيسة أسرار المحفل السماوي. واستحث جدًّا السامعين ليشبعوا من الطعام الشهي، لكي تُظهِر الحقائق التي تراها وتنعكس في مرآة حكمتك. وأنت كنبيٍّ صادق، جديرٌ بأن تطفر فرحًا وتُصفق بكفَّيك لأجل نبوَّتك العظيمة: «وَحَدَثَ فِي السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا عُزِّيَّا الْمَلِكُ، أَنِّي رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَكَانَ الْبَيْتُ مَمْلُوءًا مِنْ مَجْدِهِ، وَالسَّرَافِيمُ قِيَامًا حَوْلَهُ، سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ لِلْوَاحِدِ، وَسِتَّةُ أَجْنِحَةٍ لِلآخَرِ. بِاثْنَيْنِ يُغَطُّونَ وُجُوهَهُمْ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطُّونَ أَرْجُلَهُمْ، وَيَطِيرُونَ بِاثْنَيْنِ. وَيَصْرُخُونَ الْوَاحِدُ مُقَابِلَ الآخَرَ وَيَقُولُونَ: "قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الصَّبَاؤوت، الأَرْضُ كُلُّهَا مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَجْدِهِ". فَارْتَفَعَتْ عَتَبَةُ الْبَابِ مِنَ الصَّوتِ، الَّذِي

---

(1) TNE ANTE-NICENE FATHERS, VOL. 6, Oration Concernimg Symeon and Anna.

(٢) القدِّيس الشهيد ميثوديوس أسقف أوليمبس (تنيَّح سنة ٣١١م)، ويقول القدِّيس إبيفانيوس إنه كان يُعرَف أيضًا باسم: "Eubulis"، ويُعيِّد له في ٢٠ يونية.

(٣) أوليمبس مدينة ساحلية تقع في آسيا الصغرى جنوب تركيا على حافة سلسلة جبال توروس في منطقة Lycia في مقاطعة أنطاليا (أناتوليا)، وجبل أولمب هو أحد عشرين جبلًا دُعِيَ بهذا الاسم في بلدانٍ عديدة.

صَرَخُوا بِهِ، وَامْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا. فَقُلْتُ: "آهِ، مَا أَشْقَانِي! إِنِّي قَدْ أُصِبْتُ، لأَنِّي وَأَنَا إِنْسَانٌ، وَنَجِسُ الشَّفَتَيْنِ وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ، قَدْ رَأَيْتُ الْمَلِكَ رَبَّ الصَّبَاؤُوت بِعَيْنَيَّ". فَأُرْسِلَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ، وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ، قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: "إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ وَهِيَ تَنْزِعُ آثَامَكَ وَتُطَهِّرُ خَطَايَاكَ". وَسَمِعْتُ صَوْتَ الرَّبِّ قَائِلًا: "مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبْ لِهَذَا الشَّعْبِ"؟ فَقُلْتُ: "هُوَذَا أَنَا هُوَ، أَرْسِلْنِي". فَقَالَ: "اذْهَبْ وَقُلْ لِهَذَا الشَّعْبِ: سَتَسْمَعُونَ سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُونَ وَتَنْظُرُونَ نَظَرًا وَلَا تُبْصِرُونَ. لأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلُظَ، وَبِآذَانِهِمْ سَمِعُوا ثَقِيلًا وَأَعْيُنُهُمْ أَغْمَضُوهَا، لِئَلَّا يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ وَيَفْهَمُوا بِقَلْبِهِمْ وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ"» (إش ٦: ١ – ١٠س).

إشعياء النبي سبق فأنبأ عن أمورٍ معجزيَّةٍ:

هذا هو الإعلان الذي سبق فأنبأ به النبي بالروح. فهل نفهم، يا أحبَّائي، قوَّة هذا الكلام؟ وهل نُدرك أسرار هذه الرُّموز الخفيَّة؟ وكيف تجمعنا هذه الأمور مع هذا الجمع السمائي؟ لأن النبيَّ سبق فأنبأ عن أمورٍ معجزِيَّة عتيدة أن تحدث بحكمةٍ فائقة وتمجيدٍ لائق، وبقلبٍ يخفق طربًا بفطنةٍ شديدة وفهمٍ سامٍ. هَلُمَّ نقترب من "ذائعة الصيت"، ذاك المكان المُمَيَّز بأجلى بيان، ولنقارن النبوَّة بالأحداث ذاتها، تلك النبوَّة – وفي اقتضاب – أعلنت تلك الأحداث. وحَدِّق بنظرك في كُنْه تلك الأحداث، فكلُّ الأشياء هي واضحة للفاهمين وصحيحة للعارفين.

تفسير العرش العذراوي:

انظر، ها هو عرشٌ مرتفع عاليًا يُمجِّد ذاك الذي صنعه، الأُم العذراء هي هناك في استعدادٍ لائق وخَليق بملك، الذي هو رب القوَّات. وعلى هذا العرش فإنَّ الربَّ قادمٌ إليك في جسدك الترابي؛ **العرشُ العَذراوي،** اسجدوا للجالس عليه، وأنا أقول عن الذي أتى إليك بطريقةٍ فريدة وعجيبة تفوق الأذهان. انظر حولك بعين الإيمان، وسوف تجد حول القدوس، السيرافيم برُتبهم السماويَّة، ونظام درجاتهم الملائكية، وهم كحراسٍ إلهيِّين لا يجرؤون على النظر إلى محضره الملكي العجيب. وهم في ذلك الموقف المهيب، ليس فقط ينطقون بالتسبحة لله الواحد، لكن أيضًا المجد والإكرام للثالوث القدوس. هذا هو الله الظاهر في الجسد، وأشرق بمجده على الأرض. لذا يقول : "الأرض امتلأت من مجده"، ولذا فنحن نؤمن أنَّ الله الابن المُتجسِّد قد جعل الجسد إناءً لأجل إتمام مشيئته الصالحة.

والآب أيضًا، كان حاضرًا، وهو غير المنفصل عن الابن بحسب الجوهر الإلهي والطبيعة الإلهيَّة. أيضًا الروح القدس الواحد معه في الجوهر. وكما يقول مُفسِّر الوحي: «إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ» (٢كو ٥: ١٩). وبهذا يَبِين أن الآب كان في الابن، لأن لهما ذات المشيئة ونفس الفعل.

الرب ظهر في الجسد من أجل خلاص جنس البشر:

والآن، أيها النبي القدِّيس، يا مَنْ تتعجَّب من هذا المحفل المقدَّس عندما ترنو إلى أسرار بيت لحم العظيمة، تلك التي استُعلِنت لك. أسرِع بفرح لتُرافق تلك الأجناد السمائية، هذه التي تحتفل بالخلاص العظيم العتيد أن يتمَّ لك ولكلِّ البشرية. وكما عمل داود أمام تابوت عهد الرب ورقص بكلِّ قوَّته؛ هكذا اصنع أنت بفرح أمام **العرش العذراوي،** وسبِّح الربَّ بتسابيح الحبور. فالربُّ هو، وعلى الدوام، حاضرٌ في كلِّ مكان. والله جاء من "تيمان"، كما يقول النبي: «اللَّهُ سَيَأْتِي مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلٍ ظَلِيلٍ مُورِقٍ (في العبريَّة: "فاران"). وَقْفَةٌ مُوسِيقِيَّةٌ (في العبريَّة: "سِلَاه"). غَطَّى جَلاَلُهُ السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ مِنْ تَسْبِيحِهِ» (حب ٣: ٣س)، جاء وظهر في الجسد من أجل جنس البشر.

الآب غُلِبَ من تحنُّنه وأرسل لنا ذراعه العالية (ابنه الوحيد):

هَلُمَّ نسبِّح مع موسى النبي: «مُعِينٌ وَسَاتِرٌ قَدْ صَارَ لِي خَلاَصًا. هَذَا هُوَ إِلَهِي، فَأُمَجِّدُهُ، إِلَهُ أَبِي، فَأُرَفِّعُهُ» (خر ١٥: ٢س). ثم بعد تسبحة الشكر هذه، سوف نرى هذا المجد واجبًا لملك المجد الذي ظهر في بيت لحم. **إنه غُلِب من تحنُّنه**[٤]، هذا الذي تخضع له كل الخليقة، وها قد ظهر في الجسد في بيت لحم. ولكن، هذا هو الذي ألزمه، وقد ظهر كطفلٍ رضيع ضعيف، تحت الزمن، وهو غير خاضع للوقت والزمن. هذا هو المُقَمَّط بالخِرق (بحسب الجسد)، وهي بأيِّ حالٍ، لم تُقيِّده بتاتًا (بحسب اللاهوت). وما الذي حتَّم عليه أن يكون كلاجئ هارب، وغريب عن وطنه؟

وأنتم، يا قوات الله القدوس السمائي، لو أردتم فَهم كل ذلك، وقد استُنِرتم بروحه القدوس بداخلكم، هلمُّوا أنصتوا لربِّ موسى يُعلِن بوضوحٍ وحكمة للشعب، ويحثُّهم

(٤) كما نُسبِّح في ثيئوتوكية الاثنين: "لأنه غُلِبَ من تحنُّنه، وأرسل لنا ذراعه العالية"، القطعة الخامسة، الأبصلمودية المقدَّسة.

على مُداومة هذا الطقس ومُشيرًا للميلاد العجيب قائلًا: «قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ، أَوَّلَ مَوْلُودٍ، فَاتِحَ كُلِّ رَحِمٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. يَكُونُ لِي» (خر ١٣: ٢س)، أيُّ أمرٍ عجيب هذا! يا لعمق وغِنَى حكمة وعلم الله.

برُّ الله قد ظهر مشهودًا له من الناموس والأنبياء (رو ٣: ٢١):

ها هو بالحقِّ، ربُّ الناموس والأنبياء يعمل كلَّ ذلك بالتوافُق مع الناموس والأنبياء، ولا يتجاهلهما، بل ليُحقِّقهما ويُتمِّمهما؛ وبالدرجة الأولى، أن يربط الناموس ويُحقِّق النبوَّات لبدء سريان نعمته للبشرية. ولذلك، فإنَّ أُمَّه، والتي لم تكن مضطرة إذ ذاك للخضوع للناموس، قد أتمَّت ما ألزمها به الناموس. وهي التي قد تقدَّست وتطهَّرت بالروح القدس، أن تُراعي فترة أربعين يومًا للتَّطهير بحسب الناموس.

والقدوس الذي حرَّرنا بتجسُّده من الناموس، أخضع ذاته للناموس. وذاك الذي قدَّسنا بذاته، قدَّم ذبيحة زوجَيّ حمام، شهادة للتقرُّب من القُدْس للتنقية والتطهير. والولادة التي كانت مُلَوَّثة فيما قبل، لم تَعُد الآن بحاجة إلى ذبيحةٍ للتكفير.

يا لعظمة التجسُّد الإلهيّ!

وها هو إشعياء يشهد لنا بجلاء أمام كلِّ البشرية التي تحت الشمس: «وَكَمَا تَتَمَخَّضُ الَّتِي تُقَارِبُ الْوِلَادَةَ وَتَصْرُخُ فِي مَخَاضِهَا، هَكَذَا صِرْنَا لِحَبِيبِكَ، بِسَبَبِ مَخَافَتِكَ يَا رَبُّ» (إش ٢٦: ١٧س). مَنْ سمع بمثل هذه العجائب! ومَنْ رأى مثل تلك الآيات! ها هي الأُم الدائمة البتولية، نجت تمامًا مِمَّا تُكابده كافة النساء، وذلك قبل أن تلد. ولذلك، ومن دون شكٍّ، فإن الروح القدس خطبها لنفسه وقدَّسها، ولذلك فقد حبلت بدون زرع بشر، وولدت بِكْرها الذي هو بالحقِّ وحيد الآب.

وأقول إنَّ الابن الذي هو في السماء، أشرق كوحيد الآب من دون أُمٍّ له، وأعلن لنا عن جوهر الآب، ولذلك فقد حفظ ختم وحدة طبيعته الإلهيَّة دون انقسام أو انفصال (عن الآب). وأيُّ أحدٍ على الأرض مثله قد حَفظ – في خَدر العذراء – طبيعة آدم مثل العريس في وحدةٍ دون امتزاج، وحفظ بتولية أُمِّه دون أن تُمسَّ أو تتدنَّس. وبالإجمال، مَنْ مِمَّنْ في السَّماء كلها قد وُلِد دون فساد، أو حتى على الأرض مَنْ جاء بطريقةٍ لا يُنطَق بها (سوى الرب وحده)! له كلُّ مجدٍ وكرامة إلى أبد الآباد، آمين.

دراسات كتابيَّة

"داود قال بالرُّوح القدس"

(مر ١٢: ٣٦)

(١)

❖✚❖

بمناسبة إصدار دَير القدِّيس أنبا مقار مؤخَّرًا لسِفْر المزامير مُترجَمًا عن النسخة السبعينيَّة، نودُّ أن نتعمَّق ولو قليلًا في بعضِ أسرار هذا السِّفْر النفيس. هذا السِّفْر الَّذي يَهمس لنا بأعظم وأقوى وألَذّ وأحلى ما يمكن أن نُخاطِب به اللهَ من كلمات. مَن منَّا لم تكن له هذه الكلمات ملاذًا آمنًا وقت الخطر، وعزاءً مُنعشًا وقت الحزن، وقوَّةً جبَّارةً وقت الضعف؟ مَن منَّا لم يكن له هذا السِّفر طعامًا مُشبعًا وقت الجوع، وشرابًا مُرْوِيًا وقت العطش، وسلاحًا ونورًا وحياةً وقت الحرب والظَّلام والموت؟ مَن منَّا لم يضطرم قلبُه بنار الحبِّ الإلهيّ عند لَهَجِه بالمزمور؟ مَن منَّا لم يغمرْه الفرح ولم تأخذْه النَّشوة عند ترتيله كلماته؟ مَن منَّا لم تأخذْه المزامير من هذا العالم وترفعه إلى أن تُوقِفه في مَحْضَر الربِّ؟ نعم، هي المزامير التي نُغنِّيها وقت الحزن ووقت الفرح، وقت الضِّيق ووقت الفرج، وقت الكسرة ووقت النُّصرة. هي دواءٌ لكلِّ الأمراض، وإجابةٌ لكلِّ التساؤلات، ومَخرَجٌ لكلِّ المُعضلات. حينما أراد يعقوب الرَّسول أن يُجْمِلَ جميع المواقف التي يمكن أن يواجهها أيُّ إنسان في هذه الحياة، صاغها في ثلاثة مواقف، ونكاد نرى بين السُّطور سِفْرَ المزامير مناسبًا في جميعها بلا استثناء: «أَعَلَى أَحَدٍ بَيْنَكُمْ **مَشَقَّاتٌ؟ فَلْيُصَلِّ. أَمَسْرُورٌ** أَحَدٌ؟ **فَلْيُرَتِّلْ. أَمَرِيضٌ** أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ **فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ** وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ» (يع ٥: ١٣ – ١٤). إذن، في المشقَّات، وفي المَسرَّات، وفي الأمراض، لن يجد الإنسان جليسًا يؤانسه مثل المزامير المُلهَمة بالرُّوح القدس.

بَيْدَ أنَّ ما يُميِّز سِفْر المزامير في نسخته السبعينيَّة اليونانية عنه في النُّسخة العبرية التي وصلَت لنا ترجماتُها في اللُّغات الحديثة، هو أنَّ هذه الترجمة اليونانيَّة هي النسخة التقليديَّة المُسَلَّمَة في الكنيسة المقدَّسة من جيلٍ إلى جيل، بدءًا من الجيل الأوَّل، جيل

الرُّسُل القدِّيسين، مرورًا بقرون المسيحيَّة الأولى وقدِّيسيها العظام، وصولًا إلى يومنا هذا، حيث نُرتِّلها في صلواتنا الليتورجية. غنيٌّ عن القول إنَّ الترجمة السبعينيَّة أقدم بقرونٍ طويلة من النسخة العبريَّة الماسوريَّة التي وصلَت إلينا حاليًّا. فالأولى بدأت قبل ميلاد المسيح بأكثر من قرنين من الزَّمان، بينما الثانية انتهى الماسوريُّون من ضبطها في القرن العاشر الميلادي. وهكذا فإنَّ النسخة السبعينيَّة تنقل إلينا ترجمةً لأصلٍ عبريٍّ مفقود أقدم من النَّص العبريّ الذي وصل إلينا بأكثر من عشرة قرون. وهكذا فلقد تسلَّمَت الكنيسة منذ فجر المسيحيَّة هذه الترجمة، وأسَّسَت عليها كلَّ كرازتها وتعليمها وصلواتها، ثمَّ راحت تَعُبُّ منها وتسقي أولادها من ماء الحياة، غذاءً لنفوسهم وأرواحهم.

وإنْ كان الحديث هنا يُشير إلى جميع أسفار العهد القديم، فإنَّ سِفْر المزامير على الأخصِّ له مذاقٌ خاصٌّ ومكانةٌ فريدةٌ لا يُضاهيه فيها غيره من الأسفار. ففيه بالذات، وعلى نحوٍ مركَّزٍ، نحن على موعدٍ مع مقابلةٍ مزدوجةٍ فريدةٍ من نوعها: مقابلة مع الربِّ ومقابلة مع نفوسنا. نراه هو في كامل عظمته وجلاله ومجده، ونتواجه مع نفوسنا بكلِّ ضعفها وشقائها وبؤسها. ثمَّ بعد هُنَيْهَةٍ، نتفاجأ بالربِّ وقد رفع منَّا كلَّ ألمٍ وحزنٍ ومرارةٍ، وقد أنعم عليها بمجدٍ وكرامةٍ وبهاء. في هذا اللقاء المزدوج تتعلَّق حياتُنا كلُّها. لماذا؟ لأنَّنا بهذا نعرف ذواتنا، "والذي عرَف ذاتَه فقد عرَف الله" (القدِّيس أنطونيوس الكبير، الرسالة ٤)؛ وأمَّا معرفة الله، فهي الحياة الأبديَّة (قا يو ١٧: ٣). فكيف، إذن، نتقابل مع الربِّ؟ وكيف نتقابل مع ذواتنا بين طيَّات هذا السِّفْر الإلهي؟

أولًا: المقابلة مع الرب

لم يَعُد الربُّ بالنسبة لنا إلهًا محجوبًا، مجهولًا، مخوفًا، كما كان قديمًا، حينما استعفى الذين سمعوا صوته من أن تُزاد لهم كلمة (قا عب ١٢: ١٩)، لأنَّه في العهد القديم كان يُكلِّمهم بالأنبياء، بأنواعٍ وطُرُقٍ كثيرة؛ أمَّا نحن، فلقد كلَّمَنا في ابنه ذاتِه، ابنه الحبيب، ابنه الوحيد (قا عب ١: ٢). هذا الابن الوحيد، يسوع المسيح الآتي في الجسد والكائن في حضن الآب، في آنٍ واحد، أخبرنا عن أبيه، وأظهر لنا اسمه، وأعطانا كلامه، بل حبَّه ومجدَه (قا يو ١: ١٨؛ ١٧: ١٤، ٢٢، ٢٦). من أجل هذا، فلقد صار هو لنا الباب والطريق إلى الآب: «أَنَا هُوَ الْبَابُ .. أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ .. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلَّا بِي» (يو ١٠: ٩؛ ١٤: ٦). وهذا هو بعينِه ما تُقدِّمه لنا المزامير، إذ ترسُم لنا صورةً حيَّة للربِّ

يسوع المسيح، «الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ» (رو ١: ٣)، مُتنبَّئةً عنه قبل مجيئه بمئات السنين. هذا هو السرُّ الذي كشفه الروح القدس للرُّسُل، فانطلقوا يُذيعونه ويُبشِّرون به في كلِّ مكان.

غَيْر أنَّ أوَّل مَن طَرَقَ لنا هذا الباب هو الربُّ يسوع المسيح نفسُه، لكن بطريقته المعهودة التي تفيض لُطفًا وتَقْطُرُ حلاوة. فحينما أراد أن يُثبِت لليهود أنَّ المسيَّا المُنتظَر – قاصدًا نفسَه – ليس فقط ذُريَّة داود، بل أصله أيضًا (رؤ ٢٢: ١٦)، لم يصنع أمامهم معجزةً، ولا أطال عليهم الحديث؛ بل فقط طرح عليهم سؤالًا، وأحالهم إلى أحد المزامير، ولم يَزِد بعد ذلك. قال لهم: «كَيْفَ يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ؟ لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدسِ: "قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي ..."، فَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَدْعُوهُ رَبًّا. فَمِنْ أَيْنَ هُوَ ابْنُهُ؟» (مر ١٢: ٣٥ – ٣٧؛ مز ١٠٩: ١س). نرى هنا كيف أنَّ المسيح يضع سامعيه في مأزقٍ شديد الصعوبة. فإمَّا أنْ يُنكروا أنَّ المسيح هو ابن داود، هادمين بذلك كلَّ تقليدهم وطارحين عنهم سرَّ فخرهم؛ وإمَّا أنْ يُقرُّوا بهذا، معترفين أنّ المسيَّا هو ابنُ داود وربُّه معًا، وفي هذه الحالة يكون التجسُّد أمرًا لا غِنًى عنه، والمسيح الذي قال لهم من قبل إنَّه "نزل من السماء" صادقٌ أو على أقلِّ تقدير ينطبق عليه هذا المزمور. حديث الربِّ هذا يُظهِر لنا عمق الأسرار الكامنة في سِفْر المزامير، فآيةٌ واحدة، بل كلمةٌ واحدةٌ فقط "ربِّي"، كانت كافيةً للإشارة إلى ألوهيَّة المسيح وتجسُّده.

نَسَجَ الرُّسُلُ القدِّيسون على نفس منوال سيِّدهم، وراحوا يبحثون عن الكنوز المُخبَّأة في هذا السِّفْر فيما يخصُّ معلِّمَهم وربَّهم. فتَّش هناك التلاميذ عن المسيح، فوجدوه وتغنَّوا به وأذاعوا اسمه. فعلى سبيل المثال، وفي إشارةٍ بديعةٍ إلى قيامته المجيدة، كان هو الذي تكلَّم على فم داود قائلًا: «لأَنَّك لن تترك نفسي في الهاوية، ولن تَدَعَ قدُّوسَك يرى فسادًا» (مز ١٥: ١٠س؛ أع ٢: ٢٧؛ ١٣: ٣٥)؛ أمَّا الكرازة بهذه القيامة، فقد بلَغَت أقاصي الأرض بحسب قول المُرتِّل: «في كلِّ الأرضِ خرجَ نطقُهم، وإلى أقاصي المسكونة أقوالُهم» (مز ١٨: ٥س؛ رو ١٠: ١٨)؛ أقوالٌ تَرَدَّدَ صداها في أرجاء المسكونة، عن خلاصٍ ثمينٍ غَيرِ مسبوقٍ تمَّمَه الله الظاهر في الجسد، لا بذبائحِ تيوسٍ وعجول كما في القديم، بل بذبيحة جسدِهِ الخالدة، لذلك خاطب أباه قائلًا: «ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا» (مز ٣٩: ٧س؛ عب ١٠: ٥). وهكذا نرى سِفْر المزامير حاضرًا

بقوَّة في كرازة الرُّسُل بالمسيح يسوع، متجسِّدا ومتألمًا وقائمًا، لا سيَّما على فم بطرس وبولس الرَّسولَين، في سِفْر الأعمال وفي رسالة العبرانيِّين. وبدَورها تسلَّمَت الكنيسة من الرُّسُل هذا التفسير المسيحي لسِفْر المزامير، وأودعَته خزائنها، بمنأًى عن كلِّ تشويهٍ وتغيير. وما هي هذه الخزائن إلَّا صلوات الكنيسة وطقوسها وليتورجيتها، التي حُفِظَت مَصُونةً عَبْر الزمان، وبلغَت إلينا حاملةً معها كنوزًا لا تَقْدُم ولا تشيخ.

المزامير في نسختها السبعينيَّة هي التي نسمعها باستمرار في **الصلوات الكنسيَّة**، قبل كلِّ فصلٍ يُقرَأ من الإنجيل، إمعانًا من الكنيسة في التأكيد أنَّ سِفْر المزامير – وإنْ كان قد كُتِب قبل مجيء المسيح – إلَّا أنَّه بلا مُنازع سفير الإنجيل في العهد القديم، وسفير النُّبوَّات في العهد الجديد. غَيرَ أنَّه لا توجد مناسبةٌ في وجدان المسيحيّ تلتحم فيها المزامير بالإنجيل والإنجيل بالمزامير مثل **أسبوع الآلام**؛ فلا نكاد نُميِّز المزمورَ من الإنجيل ولا الإنجيلَ من المزمور، من فرط التطابُق والتماثُل، وكأنَّه في أسبوع الآلام تصير المزاميرُ إنجيلًا، والأناجيلُ مزاميرَ! فمنذ بداية هذا الأسبوع الخالد، حيث **دخل الربُّ إلى أورشليم** واستقبله الأطفال بالهتاف والتَّهليل، ألمح هو نفسُه، بفمِه الطَّاهر، إلى المزمور الذي يقول: «مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا» (مز ٨: ٣س؛ مت ٢١: ١٦؛ الإنجيل الأوَّل من قدَّاس أحد الشَّعانين). ثمَّ بعد ذلك مباشرة، حين **دخل الهيكل وطهَّرَه** من الباعة والتُّجَّار، تذكَّر تلاميذُه قول المزمور: «غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي» (مز ٦٨: ٧س؛ يو ٢: ١٧؛ الساعة السادسة من يوم الاثنين من البصخة المقدَّسة). ثمَّ تسير بنا الكنيسة رويدًا رويدًا، ساعةً بعد ساعة، ويومًا بعد يوم، في اقتفاء أثر المسيح، دائمًا بالمزمور والإنجيل. ففي الساعة الحادية عشرة من يَوم ثلاثاء البصخة، نسمع الربَّ يُعلِن لتلاميذه خبرًا نزل عليهم نزول الصَّاعقة: «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ» (مت ٢٦: ٢)، ولكن تسبق الكنيسة وتُبشِّرنا بالخبر السَّار قبل سماع الإنجيل: إنَّ هذا الصليب ليس مكانَ العار والمذلَّة والمهانة، لكنَّه بالحريِّ عرش الملوكيَّة والمجد والجبروت: «عرشُك يا الله إلى دهر الدُّهور. قضيب استقامةٍ هو قضيب مُلكِك» (مز ٤٤: ٧س).

وهكذا تُرافقنا المزامير بقيَّة أيَّام وساعات أسبوع الآلام، حيث سيجتاز إلهُنا أصعب وأحلك أوقاته على هذه الأرض. فهي تصف **خيانة يهوذا** الذي «كان يدخل لينظر،

وقلبه جمع له إثمًا» (مز ٤٠: ٧س؛ الساعة الثالثة والتاسعة من أربعاء البصخة)، وتَرسُم له صورة مُعَبِّرةً وهو يدخل ويخرج مع التلاميذ رفقائه ويتكلَّم إليهم وإلى المعلّم، بينما الشرُّ والغدرُ يختمران في قلبه: «كلامُه أَلْيَنُ من الزَّيتِ وهو سِهامٌ» (مز ٥٤: ٢٢س؛ الساعة الثالثة من ليلة الخميس، وباكر يوم الخميس). إلَّا أنَّ سِفْر المزامير يبلغ القمَّة ويجتاز حدود هذا العالم حينما يكشف لنا عن أسرار **أعماق قلب المسيح** في ذلك الوقت، وأحزانه وآلامه ومُعاناته، بل ومُناجاته لأبيه وأنَّات نفسه وما كان يجيش به صدرُهُ في تلك الأيَّام الرَّهيبة، خاصَّة يوم جثسيماني ويوم الجلجثة. فعلى فم المسيح نفسه تضع الكنيسة مزاميرَ كثيرة لكي تُعلن لنا خبايا قلبه، فعند اقتراب انسدال حجاب الظلمة يوم الخميس، يسوع، وهو عالمٌ بكلِّ ما هو مزمعٌ أن يأتي عليه، يصرخ لأبيه: «استمع يا رب صلاتي، وليدخلْ إليك صراخي» (مز ١٠١: ٢س؛ الساعة الأولى من ليلة الجمعة). وحينما انسدل حجاب الظُّلمة، وتُرِك وحيدًا، صرخ قائلًا: «انتظرتُ مَن يحزن معي فلم يكن، ومُعَزِّين فلم أجد» (مز ٦٨: ٢١س؛ الساعة السادسة من ليلة الجمعة).

خرج المسيح من هذه اللَّيلة اللَّيلاء ظافرًا غالبًا مستعِدًّا لليوم التالي العظيم: «لأنِّي مستعِدٌّ للسِّياطِ، ووجعي مقابلي كلَّ حين» (مز ٣٧: ١٨س؛ الساعة الثالثة من يوم الجمعة). وهكذا تَقَدَّم ابنُ الله بخطًى ثابتة نحو **مِيتَة الصَّليب الشَّنيعة**، حتَّى إنَّه وصفها وصفًا عجيبًا لا رَيبَ فيه: «رفضوني أنا الحبيبَ مثلَ ميِّتٍ مرذولٍ، ومساميرَ جعلوا في جسدي» (مز ٣٧: ٢١س؛ الساعة السادسة من يوم الجمعة). لكنْ، إذ لم يكن مُمكنًا أن يُمسَك المسيح من الموت، **قام بمجدٍ وجلالٍ** و«استيقظ الربُّ كالنائم، كجبَّارٍ ثَمِلٍ من الخمر» (مز ٧٧: ٦٥س؛ باكر أحد القيامة)، وأعلن هو نفسُه هذا، قائلًا: «أنا اضطجعتُ ونمتُ ثمَّ استيقظتُ» (مز ٣: ٦س؛ مزمور قدَّاس سبت الفرح). والمجال يضيق بنا إنْ أردنا أن نُوَقِّع كلمات المزامير على هذا الأسبوع الخالد، لكن مَن يرغب في أن يرى كيف يمكن أن نضع على فم المسيح كلمات المزامير، فالكنيسة أَعَدَّت لنا عَيِّنَةً شهيَّةً، وهي القِطَع المُنتخَبة من المزامير ("إلهي إلهي التفت إليَّ")، التي اختارتها الكنيسة لتُرَتِّل بلحنها البديع أثناء توزيع الأسرار في قدَّاس سبت الفرح.

نكتفي هنا فيما يخصُّ لقاءنا بالرب، ونُكمِل ما يخصُّ لقاءنا بأنفسنا في العدد القادم.

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة
من خلال المحبَّة[١]

(١٣)

بالإضافة إلى الكتاب المقدَّس والتَّقليد المقدَّس، يُمكننا معرفة الله مِن خلال المحبَّة، لأنَّ: «اللهَ مَحَبَّةٌ» (١يو ٤: ٨)، ولا يُمكننا معرفة الله بدون محبَّة. والقدِّيس يوحنا كَتَبَ يقول: «مَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ».

يكتب الأب كاليستوس كاتافيجيوتيس Kallistos Kataphygiotis ويقول:
"أهم شيء يحدث بين الله والنَّفس البشريَّة، هو أنْ تُحِبَّ وأنْ تُحَبَّ".

يشرح الأب بول إفدوكيموف Paul Evdokimov هذا عندما يقول:
"أَصْل كلِّ الوجود هو محبَّة الله، الذي علينا: "أنْ نحبَّه كما نحبُّ إخوتنا". أيُّهما يأْتي في الأوَّل، المعرفة والفهم أم المحبَّة؟ هذا السُّؤال لم يُطْرَح أبدًا في الشَّرق، فنحن لن يُمكننا أنْ نعرف الله بدون أنْ نحبَّه، ولا أنْ نحبَّه دون أنْ نعرفه. في كلِّ معرفتنا توجد مُمارسة المحبَّة"[٢].

بما إنَّ الله محبَّة، فلا يُمكن معرفته بدون محبَّة، وأنْ تعرف الله حقًّا هو أنْ تحبَّه، وأنْ تحبَّه هو الطَّريق الوحيد لتعرفه حقًّا. نحن نعرف الله ونحبُّه عندما نحيا حياةً كلَّها توْبة مُستمرَّة، وعندما نقبل لأنفسنا – بطريقةٍ شخصيَّة – محبَّته، ونعمته، وخلاصه، والغُفران الذي يُقدِّمه. أعظم تلخيص للمسيحيَّة هو ما قدَّمه يوحنا الرَّسول عندما قال: **«الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ»** (١يو ٤: ٧)، **«مَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ»** (١يو ٤: ١٦). المحبَّة هي أوَّل وأعظم وسيلة

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:
Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy.*
(2) Paul Evdokimov, *Orthodoxy*. New City Press. Hyde Park. NY. 2011.

أو واسطة يجب أنْ نستخدمها إنْ أردنا أنْ نعرف الله: **«وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ»** (١يو ٤: ٨). بلا محبَّة، لا معرفة لله. اِعرف المحبَّة! تعرف الله! وكما إنَّه مِن المُستحيل للشَّخص الذي ليست له عينان أنْ يدَّعي أنَّه يرى النُّجوم؛ هكذا مَن لا يُحبّ ويدَّعي أنَّه يعرف الله، وفوق هذا كلّه، الله اسمه: **"محبَّة".**

نقرأ في الكتاب الرُّوحي التصوُّفي: "سحابة عدم المعرفة *The Cloud of Unknowing*": "يُمكن بالحبِّ أنْ نمسِك بالله وأنْ نُدْركه..."، وقد عبَّر أحدهم عن هذا بروعة عندما كَتَب: "اللاهوت هو الاتِّحاد بالله برباط المحبَّة". حقيقة الله تُكتشف بالمحبَّة، وليس مِن مجرَّد الحصافة اللاهوتيَّة. ومرَّة أُخرى نقول: **«وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ»** (١يو ٤: ٨).

القدِّيس ثيئوفان النَّاسك St. Theophan يصف الصَّلاة أنَّها:

[النُّزول بالعقل إلى القلب، وهناك نكون في حضرة الله].

وهكذا، فالصَّلاة تَتِمُّ عندما يتكلَّم قلب الإنسان مع قلب الله، ويتَّحد الاثنان معًا بالحُبِّ، وعندما يحدث هذا، فمعرفة الله تصير محبَّة الله، وأنْ تُعْرَف مِن الله معناها أنْ تكون محبوبًا مِن الله. شَرَحَ الأب ثالاسيوس Fr. Thalassios هذا جيِّدًا عندما قال:

"أحبب الله، وستصل إلى المعرفة الروحيَّة".

ليس مجرَّد أيِّ نوع مِن المعرفة الرُّوحيَّة، ولكن معرفة الله نفسه، كيف؟ مِن خلال المحبَّة. علَّم الأب ديمتري ستانيلوي Dumitrou Staniloae اللاهوتي الأرثوذكسي الرُّوماني المرموق، أنَّه لا معرفة الذَّات ولا معرفة الآخَرين يُمكن أنْ تكون بدون المحبَّة. أليس لهذا السَّبب يكتب القدِّيس يوحنا كاسيان St. John Cassian ويقول:

[علينا أنْ نسْأل الشَّخص، لا عمَّا إذا كانت الشَّياطين تخضع له، ولكن عمَّا إذا كان لديه محبَّة؟].

(١) المعرفة تصير محبَّة:

كتب الأب بول إفدوكيموف عن المحبَّة فقال:

""ما هو القلب المُحِب؟" يُجيب القدِّيس مار إسحق السُّرياني ويقول: "هو قلبٌ مُلتهب بمحبَّة كلِّ الخليقة: الإنسان والطُّيور والحيوانات والأرواح

الشِّريرة، وإذ يتحرَّك بشفقة غير محدودة، فهو يُصَلِّي أيضًا لأجل الزحَّافات". عند هذا الحدِّ، لا يوجد سؤال عن نيل معرفة الله، "فالمعرفة تُصبح محبَّة". "المحبَّة هي الله الذي يرمي بسهمه، الذي هو ابنه الوحيد، بعد أنْ بلَّل طرفه المثلوث بالرُّوح المُحيي؛ طرفه هو الإيمان الذي ليس فقط يُدخِل السَّهم، بل أيضًا برامي السَّهم، معه". الله يَدْخل النَّفس، والنَّفس تنْجذب نحو الله"[٣].

تؤكِّد الكنيسة الأرثوذكسيَّة دائمًا على الرِّباط المُحْكم بين المعرفة والمحبَّة عندما يكون الحديث عن المعرفة. كثيرٌ مِن آباء الكنيسة يُعلِّمون أنَّ المعرفة الكبيرة هي أُخت المحبَّة الكبيرة، هذا فيما يخص معرفة الله. مار إسحق السُّرياني يُعلِّم أنَّ الحقَّ والمحبَّة هما جناحان لا ينفصلان عندما يكون الحديث عن معرفة الله.

توجَّع باسكال Pascal ذات مرَّة مُتأسِّفًا وقال: **"يا لها مِن مسافة شاسعة بين معرفة الله ومحبَّته"**. أحد الأسباب لهذه "المسافة الشَّاسعة"، هو الافتقار إلى المحبَّة. لا يمكننا أنْ نعرف الله إنْ لم نكن في صُلح مع الآخر: **«فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ»** (مت ٥: ٢٣و٢٤). بلا محبَّة، لا توجد علاقة بالله. اعرف المحبَّة، تعرف الله.

وبحسب كلمات فلاديمير لوسكي Vladimir Lossky:

"المحبَّة لا تنفصل عن المعرفة "gnosis"... فالحياة النُّسكيَّة "خلوًا مِن المعرفة gnosis". هي عديمة القيمة بحسب كلمات القدِّيس دوروثيئوس St. Dorothes. الحياة الروحيَّة المُدرَكة تمامًا، هي حياة في شركة تواصُل مستمرّ مع الله، وهي قادرة أنْ تُغيِّر شكل طبيعتنا (تجعلها تتجلَّى) بأنْ تجعلها تُشبه الطَّبيعة الإلهيَّة، بأنْ تجعلها تتشارك مع نور النعمة غير المخلوق، مِثْل مثال السيِّد المسيح الذي ظهر لتلاميذه على جبل تابور وثيابه تلمع بمجدٍ غير مخلوق"[٤].

(3) Paul Evdokimov, *The Sacrament of Love*. SVS Press. Crestwood, NY. 1985.

(4) V. Lossky, *The Mystical Theology of the Eastern Church*. James Clarke and Co., Ltd. Cambridge and London. 1968.

(٢) المحبَّة تسبق الاعتراف بالإيمان:

يكتب اللاهوتي الأرثوذكسي الشَّهير الأب بول فلورينسكي Paul Florensky عن موضوع معرفة الله مِن خلال الحُبِّ، فيقول:

"مَنْ يُحبُّ قد انتقل مِن الموت إلى الحياة، مِن مملكة هذا العالَم إلى ملكوت الله، وصار: "شريكًا للطَّبيعة الإلهيَّة" (انظر: ٢بط١: ٤)**، وقد دخل في عالَم الحقيقة الجديد، الذي يمكنه فيه أنْ ينمو ويرتقي، وتسكن فيه بذرة الله، بذرة الحياة الإلهيَّة (انظر:** ١يو٣: ٩)**، بذرة الحقِّ نفسه والمعرفة غير الزَّائفة الحقيقيَّة. وبمعرفة الحقيقة، فهو يفهم الآن سبب التغيُّر الذي حدث فيه: «نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ (ولهذا السَّبب مِن ظلام الجهل إلى نور الحقِّ)، لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ. مَنْ لَا يَحِبُّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ. كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ»** (١يو ٣: ١٤ و١٥)**".**

ويستمر الأب بول فيقول:

"مَن ليس له حياة أبديَّة، أي مَن لم يدخل في حياة الثَّالوث، لا يقدر أنْ يحبَّ، لأنَّ محبَّة الأخ هي دلالة، كما لو كانت، على انبعاث قوَّة إلهيَّة، تُشِعُّ مِن الله المحب"[٥]**.**

هذه الحقيقة الجميلة تَظْهر جليًّا في قدَّاس المؤمنين عندما يُنادي الشَّماس: "دعنا نحبّ بعضنا بعضًا لكي ما نعترف باتِّفاقٍ واحد"، ولكن بماذا نعترف؟ نجد الإجابة عند الخوروس، والذي يُمثِّل الجماعة، فهو يُكْمِل مُناداة الشَّماس ويقول: "الآب والابن والرُّوح القُدُس، الثالوث غير المُنقسم والواحد في الجوهر".

وإذا وُجد أكثر مِن قسٍّ واحد، فهم يُعبِّرون عن محبَّتهم الأخويَّة بعضهم لبعض عندما يتبادلون قُبلة السَّلام ويقولون الواحد للآخَر: "المسيح في وسطنا"، ويكون الردُّ: "كما كان وهكذا يكون إلى الأبد" (كل هذه الاقتباسات الليتورجيَّة مِن قدَّاس القدِّيس يوحنا ذهبي الفم). **(يتبع)**

(5) Paul Florensky, *Pillar and Ground of Truth*. Princeton University Press. 1997.

ادخل
إلى
العمق

– ٤٦ –

البيت الفارغ

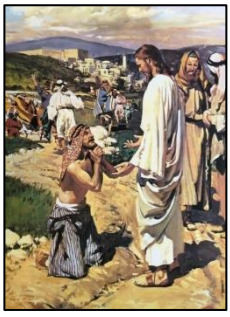

● «أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي الَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ» (مت ١٢: ٤٤).

تمهيد:

عندما يحلُّ الربُّ في مكانٍ ما، أو في قلب إنسان؛ فإنَّه يَهب سلامه الإلهي، ويُعطي راحةً لهذا القلب أو المكان. ومثلما يُبدِّد شُعاع النور كلَّ أستار الظلام، هكذا يكون حلول الربِّ الذي يُنير حياة الإنسان، ويُحطِّم كلَّ قُوَى الشرِّ والنجاسة المُزمعة أنَّ تُدَنِّسه أو تقترب منه. لكنَّ الرب لا يَقتحم قلب الإنسان عُنوَةً ما لم يُهيِّئ الإنسان قلبه لسُكنى الربِّ وراحته، فالمُرنِّم عندما يهتف بقوله: «اِنْتِظَارًا انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي» (مز ٤٠: ١)؛ فهو يؤكِّد على حُسن إعداده لقلبه بالطَّهارة والحياة المقدَّسة التَّقَويَّة، حتى يكون أهلًا لسُكنى الإله القدُّوس وموضعًا لراحته. ولكن إنْ كان قلب إنسان فارغًا وخاويًا من كلِّ صلاح وطهارة وتَقوى، فقد صار موضعًا لراحة الشيطان، ومحلًّا لسُكناه. ومِن ثمَّ، صارت له السَّيْطَرة الكاملة على حياة هذا الإنسان وتَدميره وإهلاك نفسه.

فالربُّ يسوع عندما شَفَى الرجل المُخلَّع، الذي كان له ثمانٍ وثلاثين سنة مُقعَدًا بمرضه؛ فقد وَهبَ له السلامة والشفاء لجسده ونَفسه وروحه أيضًا، فصار قلبه جديدًا وصحيحًا، ولَزِم لهذا الرجل أنْ يُقدِّس هذا القلب وهذا الجسد، ويُزيِّنهما بكلِّ عملٍ صالح وسيرةٍ مقدَّسة، حتى يكون قلبه موضعًا مناسبًا لسُكنَى الروح القدس فيه. لذلك خاطبه الربُّ يسوع، مُحذِّرًا إيَّاه من تدنيس قلبه وحياته بعودته إلى خطاياه الأولى، بقوله له: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلَا تُخْطِئْ أَيْضًا، لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ» (يو ٥: ١٤). وليس من شرٍّ أعظم من أنْ يَملك الشيطان على قلب الإنسان وحياته، ويَتَسَبَّب في هلاكه، روحيًّا وجسديًّا أيضًا. فشاول الملك حينما غادره روح الربِّ، بسبب عدم طاعته وعدم خضوعه لوصاياه؛ صار قلبه فارغًا ومَطْمَعًا للأرواح الشِّريرة لكي تُباغته وتَسكن فيه، فأَظْلَم عقله وقلبه، وهَلكت حياته.

فالقلب الفارغ – الذي تُزيِّنه ميول الخطيَّة والشهوة وأباطيل هذا العالم الزائفة – يصير مَرتَعًا خِصبًا، ومَسكنًا مريحًا للشيطان.

الله طَهَّر قلوبنا وأبرأَها برحمته وكلمته ودَمه، لتصير بيتًا مُقدَّسًا لراحته:

تَحدَّث الربُّ يسوع عن البيت المُزيَّن والمَكْنوس، وعن عودة الأرواح النَّجِسة السبعة إليه، بعد ما خرج الروح النجس منه أولًا – كما ورد في: (مت ١٢: ١٤؛ لو ١١: ٢٥) – كمثال للأُمَّة اليهوديَّة. ويَشرح لنا القدِّيس كيرلس الإسكندري حديث السيِّد هذا، فيقول:

[فإنَّ الروح النَّجِس والفاسد طُرِد منهم (أي من الشعب الإسرائيلي) عند ما ذَبحوا الحَمَلَ الذي كان رمزًا للمسيح، ودَهنوا دَمه على الأبواب فهَرب المُهلِك. ولكن لأنَّهم لم يُؤمنوا بالمسيح بل رفضوا المُخلِّص، فإنَّ الروح النَّجس هاجمهم ثانيةً، لأنَّه وجد قلوبهم خاوية وخالية من أيِّ مخافةٍ لله، ومكنوسة كما كانت، فأخذ مسكنه فيهم. لأنَّه كما إنَّ الروح القدس عندما يُبصر قلب أيِّ إنسانٍ خاليًا من أيِّ نجاسة ونقيًّا، فإنَّه يَسكن فيه ويستريح؛ هكذا الروح النجس اعتاد أن يسكن نفوس الأشرار، لأنَّهم – كما قُلتُ – يكونون خالين من كلِّ فضيلة، ولا توجد فيهم مخافة الله، ولذلك صارت أواخر الإسرائيليين أَشرَّ من أوائِلهم][1].

فالمَثَل الذي قاله الربُّ يسوع كان مُنطَبقًا تمامًا على حال الأُمَّة اليهوديَّة، التي بعد ما سَئمت من عبادة الأوثان، وتمرَّرت بحياة النجاسة والشرِّ مع الشعوب التي عاشروها أيام سَبيهم؛ ردَّهم الربُّ من سَبيهم وأرجعهم إلى ديارهم (وهذا كان بمثابة إخراج للشيطان وروح النجاسة منهم). لكنَّهم ورغم مُناداة يوحنا المعمدان لهم، ودعوته لهم لمعموديَّة التوبة؛ فإنَّهم بسبب كبريائهم وعدم توافُر إرادة التوبة والإصلاح عندهم، وأيضًا بسبب تعاليم الفرِّيسيين المظهريَّة – والتي وصفها السيِّد بالرياء المرذول، حيث شبَّههم بالقبور المُبيَّضة من خارج، وهي من داخل مملوءة عِظام أموات وكلِّ نجاسة – فبسبب كلِّ هذا، إضافة إلى خطيَّتهم العظمى برفضهم المسيح نفسه؛ فقد نالتهم اللَّعنة، وصار حالهم أسوأ ممَّا كانوا عليه أثناء السَّبي بكثير، إذ دخلهم سبعة أرواح أَشَرُّ، فنالهم الغضب والشرُّ، وخُرِّب هيكلهم. فالنفس دائمًا ما تكون عُرضَة لِمَا هو أسوأ إذا انعدمت إرادتها في المقاومة ورغبتها في

(١) "تفسير إنجيل لوقا"، للقديس كيرلس الإسكندري، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، ص ٣٩٠.

الإصلاح، وتَعطَّل جِهادها لعدم العَودة مُجَدَّدًا لسيرتها الأولى المُتوانية. وهذا الأمر لا يُمكن أن يتمَّ إلَّا بامتلائها بالروح القدس، وسُكنى الربِّ لملء فراغ القلب بالنعمة، حتى تَقدر النفس على التَّصدِّي لكلِّ أرواح الشرِّ والنجاسة، فلا تَقترب إليها فيما بعد.

القلوب المُقفرة والخاوية مِن النعمة، هي مَسكنٌ مريحٌ للشيطان:

يصف إشعياء النبي الموضع الذي تَسكنه الشياطين، والذي يُشير إليه الإنجيليَّان: (القدِّيس متى والقدِّيس لوقا) بقولهما: **"الأماكن التي ليس فيها ماء"** (انظر: مت ١٢: ٤٢؛ لو ١١: ٢٥)، فيقول: «بَلْ تَرْبُضُ هُنَاكَ وُحُوشُ الْقَفْرِ، وَيَمْلأُ الْبُومُ بُيُوتَهُمْ» (إش ١٣: ٢١). فالشيطان لا يسكن إلَّا في الأماكن الخَرِبة والخاوية، مثلما يَسكن أيضًا ويرتاح في القلوب المُقفِرة التي لا يملأها (ماء) الروح القدس، فهذه القلوب تكون مُجدِبَة من عمل النعمة، لسبب بُعدها عن مصدر الارتواء والنور، والتصاقها بخطاياها السالفة، حيث يَجد الشيطان فيها موضِعًا لراحته. فإبليس دائمًا ما يَنشط ويُعاود البحث والنظر إلى القلوب والنفوس التي سبق وأن طَردته من حياتها بالتوبة، لَعلَّه يجد لنفسه ثغرة للتَّسَلُّل إليها، إنْ تَغافَلت أو تَوانت أو تَكاسلت، وربَّما يجد العدوُّ هذه النفوس قد أغرقتها وأغَرتها زينة هذا العالم الباطل، بسبب تَراخيها في الجهاد ضدَّ ملذَّاتها وخطاياها السالفة؛ وحينئذٍ، يُسرع ليَنْقَضَّ عليها ومعه سبعة أرواح أَشرُّ وأعتى منه، ليُدمِّر هذا الإنسان، فتكون أواخره أَشرَّ مِن أوائِله.

ويقول الأب متى المسكين، عن هروب الشيطان إلى الأماكن التي ليس فيها ماء: إنَّ ذلك يَعود لأنَّ طبيعة الشيطان سَلبيَّة ضدَّ الحياة بكلِّ صُوَرِها، والماء هو أصل كلِّ حيٍّ (٢بط ٣: ٥)[٢]. وليس أَدَلُّ على سُكنَى الشيطان في المواضع المُقفِرة والبراري، مِن حروبه الشَّرِسة التي يخوضها ضِدَّ الآباء الرهبان سُكَّان البريَّة، فهو لا يَطيق أن يَقتحم أحدٌ مساكنه، لا سيَّما هؤلاء المُتَسلِّحون ضدَّه بالصوم والصلاة ومعونة الروح القدس، لأنَّه لا يَقدر على مقاومتهم. ولا ننسى أيضًا أنَّ الربَّ يسوع نفسه قد اقْتِيد بالروح إلى البريَّة (مسكن الشيطان) ليُجرَّب منه ويَقهره في عُقر داره.

أمَّا عن البيت المكنوس والمُزيَّن – أي القلب الفارغ من الصلاح – فيقول الأب متى المسكين: [أي ليس فيه أيُّ أثرٍ من كلام المسيح أو الوعظ أو التعليم، مُزَيَّنًا بكلِّ صور

(٢) "الإنجيل بحسب القديس لوقا – دراسة وتفسير وشرح"، للأب متى المسكين، الطبعة الرابعة: ٢٠١٥، ص ٤٩٠.

الخلاعة في القلب وعلى الحوائط، والمناظر الشَّهوانيَّة المُغرية التي يراها الشيطان فيشعر أنَّه مُرَحَّبٌ به، ويَظن أنَّ صاحب هذا القلب مِضيافٌ جيِّدٌ له، فيذهب ويأتي بسبعة أرواح أَشر منه لتَسكن في قلب هذا الإنسان][٣]. ولكن عكس هذا الأمر حدث مع مريم المَجدَليَّة، التي أخرج الربُّ منها سبعة شياطين، فهذه امتلأ قلبها بمحبَّة المسيح، والعرفان لرحمته عليها؛ فصارت تابعة له كلَّ أيام حياته على الأرض، وبعد قيامته، فَنَجَت.

فإن خَلت كلٌّ من الروح والجسد مِن كلِّ عملٍ صالح، وصارا فارغَيْن ومُزَيَّنَين بالميول الرديئة والشهوات العالميَّة؛ فإنَّ الشيطان يَفرح جدًّا، ويَذهب ليَجتذب معه سبعة أرواح أَشرَّ منه، ويَشحِذ كلَّ قواه الشِّريرة مُندفِعًا ليسكن قلب هذا الإنسان، ويَقتنص إرادته، ويُفقِده حياته. فلا يَستَهنْ أحدٌ، إذن، بأصغر الخطايا، فإنَّ مُعظَم النار مِن مُستَصْغَر الشَّرر.

العودة إلى الخطايا القديمة بمثابة جحد للإيمان ودعوة جديدة للشيطان:

عندما غَفَر الربُّ يسوع للمرأة التي أُمسِكَت في ذات الفِعل، قال لها السيِّد: «أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟ فَقَالَتْ : "لَا أَحَدَ يَا سَيِّدُ!". فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: "وَلَا أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا"» (يو ٨: ١٠، ١١). فهذا الغفران الممنوح من الربِّ – كان بمثابة إنقاذ لها من أنياب الشيطان – وتَبِعه التحذير الهام بضرورة عدم العودة للخطيَّة، وهو نَفْس تحذير الربِّ يسوع أيضًا للمفلوج الذي أبرأه بعد ثمانٍ وثلاثين سنة مِن مرضه؛ إذ قال له «**فَلَا تُخْطِئْ أَيْضًا، لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ**» (يو ٥: ١٤).

ويَشرح لنا الكتاب المقدَّس هذا الأمر، إذ يوَضِّح أنَّ المسيح قد أنقذنا من عبوديَّة الشيطان وأَسره، وحرَّرنا بدَمِه، فحريٌّ بنا أن نَثبُت في هذه الحريَّة التي حرَّرنا بها الابن، ولا نُعاود النظر إلى الوراء – مثل امرأة لوط – فنرجع لرجاسات الخطيَّة كالعهد السابق، وعن هذا يكتب القدِّيس بطرس الرسول بالروح: «لأَنَّهُ إِذَا كَانُوا، بَعْدَمَا هَرَبُوا مِنْ نَجَاسَاتِ الْعَالَمِ، بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، يَرْتَبِكُونَ أَيْضًا فِيهَا، **فَيَنْغَلِبُونَ**، فَقَدْ صَارَتْ لَهُمُ الأَوَاخِرُ أَشَرَّ مِنَ الأَوَائِلِ ... قَدْ أَصَابَهُمْ مَا فِي الْمَثَلِ الصَّادِقِ: "كَلْبٌ قَدْ عَادَ إِلَى قَيْئِهِ"، وَ"خِنْزِيرَةٌ مُغْتَسِلَةٌ إِلَى مَرَاغَةِ الْحَمْأَةِ"» (٢بط ٢: ٢٠ – ٢٢).

ويوضِّح لنا القدِّيس بولس الرسول خطورة العَودة والارتداد لطريق الخطيَّة والنجاسة،

(٣) "الإنجيل بحسب القديس لوقا – دراسة وتفسير وشرح"، للأب متى المسكين، الطبعة الرابعة: ٢٠١٥، ص ٤٩١.

وتهيئة القلب لرجوع الشيطان وسُكناه مرَّةً أخرى، وامتلاكه لحياة الإنسان؛ فيقول بالروح: «لأَنَّ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً، وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي، وَسَقَطُوا، لَا يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ، إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمِ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ» (عب ٦: ٤ – ٦). ثمَّ يستطرد قائلًا: «وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا مِنَ **الِارْتِدَادِ لِلْهَلَاكِ،** بَلْ مِنَ الإِيْمَانِ لِاقْتِنَاءِ النَّفْسِ» (عب ١٠: ٣٩).

ففداء المسيح وغُفرانه الذي نلناه، وبه انعتقنا من عبوديَّة الشيطان؛ كان لنا بمثابة **الميلاد الجديد من الله،** وعلينا أنْ نَصونه، ونجاهد لحِفظ أنفسنا مقدَّسة للربِّ، كقول القدِّيس يوحنا الرسول: «بَلِ **الْمَوْلُودُ مِنَ اللهِ** يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَالشِّرِّيرُ لَا يَمَسُّهُ» (١يو ٥: ١٨). وليكن معلومًا أنَّ عودتنا للخطايا السالفة تُعَدُّ بمثابة إنكارٍ للإيمان، بل وتُصيِّرنا أشرَّ من غير المؤمنين، حيث تُظهِرُنا كَمُزدرين بالنعمة، وواقعين تحت الدينونة، بحسب ما يَكتب الرسول بولس بالروح: «فَكَمْ عِقَابًا أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِسًا، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟» (عب ١٠: ٢٩).

كيف نملأ قلوبنا بسُكنى الروح القدس فَنَنْجو بحياتنا؟

بدايةً، لا بد من القول إنَّه لا تأمين للنفس من السقوط في يد الشيطان وامتلاكه لزمام ومقاليد التَّحَكُّم في مصير حياتنا؛ سوى بسُكنى الله ذاته في قلوبنا، وامتلاء نفوسنا بنعمة روحه القدُّوس فينا. حيث يصير الروح القدس هو القوَّة الطاردة لكلِّ قوات إبليس وجنوده الشِّريرة من حياة الإنسان، والمُدافعة عن الإنسان مُقابل حروب العَدوِّ. فلَولا أنَّ قلب مريم المجدَليَّة قد امتلأ بمحبة المسيح – كما سَبَق القول – ما استطاعت أن تنجو من مصيرها المُظلِم. وكلُّ مَن لم يمتلئ قلبه بمحبة المسيح الفائقة، ونعمة روحه القدُّوس؛ فلن يَقدر أن يقف قبالة سهام الأرواح الشِّريرة المُلتهِبة نارًا، بعد ما اعتَمَدَ باسم المسيح واغتسل من خطاياه السالفة، وعُتِق من أَسْر إبليس وسلطانه.

كما إنَّ الالتصاق بالربِّ والاتِّحاد به، بمُمارسة الجهاد الحقيقي، والشركة في الأسرار المقدَّسة، والصلاة الدائمة، والسلوك بمخافة الله؛ هذه كلُّها تُعَدُّ أمورًا ضروريَّة وهامة لحفظ قلوبنا وحياتنا طاهرة ومُقدَّسة في المسيح، فلا تَقوى علي غَلبتنا كلُّ قوى الشرِّ.

(البقية صفحة ٤٨)

بحث تاريخي

دير الفاخوري بإسنا

✠ ✥ ✠

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي

أستاذ الآثار والفنون القبطية

ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

تضم مدينة إسنا عدَّة معالم سياحيَّة ومواقع أثرية متميِّزة سبقت الإشارة إليها[١].

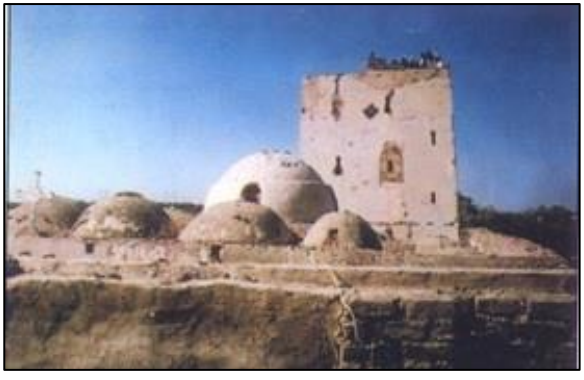

(الشكل رقم ١) منظر خارجي لدير الفاخوري بإسنا. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٩.

وشُيِّد دير الفاخوري[٢] Monastery of the Potter **(الشكل رقم ١)** في صحراء إسنا على بُعْد تسعة كيلومترات شمال هذه المدينة. ويُعرف هذا الدير أيضًا باسم: "دير القدِّيس متَّى المسكين Matthew the Poor"، والذي يُعتَقَد أنه عاش في نهاية العصر البيزنطي، حيث شيَّد ديرًا قبطيًّا باسم: "دير القدِّيس باخوميوس"، بالقرب من إسنا في أصفون، وكانت له قلاية في الصحراء. ومن المعروف أنَّ القدِّيس باخوميوس قد أسَّس ديرًا في منطقة Phnoum بإسنا طبقًا لِمَا أشار إليه ليفور[٣]. وورد ذِكْر دير الفاخوري في كتابات "أبو المكارم" في القرن الثاني عشر الميلادي، وكذلك في مؤلَّفات المؤرِّخ المملوكي تَقي الدِّين المقريزي في القرن

---

(١) شيرين صادق الجندي، " دير الشهداء بإسنا (١)"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٥٦)، مطبوعات دير أنبا مقار، وادى النطرون (سبتمبر ٢٠٢٤)، ص ٤٢ – ٤٤.

(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٨ – ٢٠٩.

(3) L.T. Lefort, "Les premiers monastères pachômiens, exploration topographique", *le Muséon* 52, 1939, 404 - 406.

الخامس عشر الميلادي. كما سجَّل كثيرٌ من الرحَّالة والباحثين والعلماء تفاصيل عمارة دير الفاخوري وما به من فنون مختلفة. فتوافد كثير من الرحَّالة الأوروبيين على زيارة هذا الدير الأثري الهام مثل فانسليب[٤] وسونورون[٥] وكذلك سيكار[٦] وجوهان جورج[٧] وليفور[٨]. كما وصف ميناردس أجزاء الدير المختلفة في سنة ١٩٦٥[٩]. وقد درس فيه والتر[١٠] كثيرًا من الموضوعات الأثرية والزخرفية. وفى تسعينيات القرن العشرين، أمدنا كل من كوكان وموريس مارتان بدراسة تفصيلية عن تاريخ دير الفاخوري بإسنا[١١].

عمارة دير الفاخوري بإسنا:

أشار كثيرٌ من المعماريين والباحثين[١٢] إلى مباني دير الفاخوري المختلفة بإسنا مثل بيتر جروسمان وكاسيل[١٣] حيث أكَّدا أنه كان يُحيط بهذا الدير سور كبير لم يتبقَّ منه

(4) J.M. Vansleb, *Nouvelle relation en forme de journal d'un voyage fait en Égypte en 1672 et 1673*, Paris, 1677, p. 406 = Translated as *the Present State of Egypt*, London, 1678, 243.

(5) S. Sauneron, *Villes et légendes d'Égypte*, Bibliothèque d'étude 90, Le Caire, 1974, p. 79.

(6) C. Sicard, *Oeuvres*, (ed.) S. Sauneron & M. Martin, Bibliothèque d'études 83-85, Le Caire, 1982, p. 216, n°8.

(7) Johann Georg, Duke of Saxony. *Streifzüge durch die Kirchen und Klöster Ägyptens*, Leipzig, 1914, 56-59.

(8) L.T. Lefort, "Les premiers monastères pachômiens, exploration topographique", *le Muséon* 52, 1939, 404-407.

(9) Otto Meinardus, *Christian Egypt, Ancient and Modern*, Cairo, 1965, pp. 323-325; 2nd ed., 1977, pp. 438-441.

(10) C.C., Walters, *Monastic Archaeology in Egypt*, Warminster, 1974.

(11) R.-G. Coquin & S.J. Maurice Martin, "Dayr al-Fakhuri, History", in: (ed.) A.S. Atiya, *Coptic Encyclopedia*, vol.3, New York, 1991, cols. 802b-803b.

(12) V. de Bock, *Matériaux pour servir à l'archéologie de l'Égypte chrétienne*, Saint Petersburg, 1901; M. Jullien, "Quelques anciens couvents de l'Égypte", *Missions catholiques* 35, 1903: 188-190, 198-202, 212-214, 237-240, 250-252, 257-258, 274-276, 283-284; S. Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, Oxford, 1912; S. Sauneron, "Les neuvième et dixième campagnes archéologiques à Esna", *BIFAO* 67, 1969: 101-110.

(13) R.-G. Coquin, "Les inscriptions pariétales des monastères d'Esna: Dayr al-Shuhada'-Dayr al-Fakhuri", *BIFAO* 75, 1975: 261-284; P. GROSSMANN, *Mittetlalterliche Langhauskuppelkirchen und verwandte Typen in Oberägypten*, Glückstadt, 1982, pp. 31-36; G. Castel & P. Grossmann, "Dayr al-Fakhuri, Architecture", in: (ed.) A.S. Atiya, *Coptic Encyclopedia*, vol.3, New York, 1991, cols. 803b-805a.

حاليًا غير الجزء الشرقي منه والمدخل الرئيسي واثنان أو ربما ثلاثة أنصاف أبراج دائرية من الخارج. وفى الناحية الجنوبية من السور، توجد بقايا برج مستطيل. ويوجد سُلَّم يؤدِّي إلى داخل الدير. ويتكوَّن الدير من الداخل من مجموعتين أساسيتين من المباني: المجموعة الشمالية، وبها الكنيسة الأثرية والحصن وملحقاتهما؛ وتحتوي المجموعة الجنوبية على قلَّايات الرهبان والمائدة الأثرية.

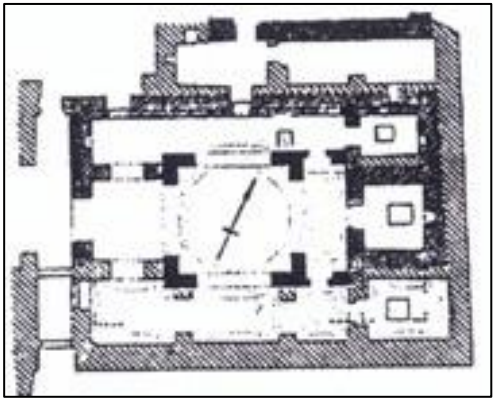

(الشكل رقم ٢) التخطيط المعماري للكنيسة الأثرية بدير الفاخوري بإسنا. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٨.

ويوجد مدخل **المجموعة المعمارية الشمالية** في الجنوب حيث يفضي إلى الكنيسة الأثرية المُشيَّدة في الناحية الشرقية من المدخل **(الشكل رقم ٢).** وفى وسطها قاعة مربعة يعلوها قبَّة. ويُحيط بهذه القاعة، صالة مستعرضة narthex يليها الرواق الأوسط ويُحيط به الرواقان الشمالي والجنوبي. ويلي ذلك خورس الكنيسة، ثم الثلاثة هياكل الشرقية. وفى منتصف كل هيكل، يوجد مذبح. كما توجد الحنية أو الشرقية التقليديَّة في الحائط الشرقي لكل هيكل.

وفى القاعة الوسطى، وهي أقدم أجزاء الكنيسة الأثرية، يمكن رؤية بقايا رسومات جدارية متنوعة في موضوعاتها الزخرفية. فيُشاهد الزائر على الجدران الداخلية لهذه القاعة أشكالًا آدمية للسيِّد المسيح ومعه الاثني عشر تلميذًا إلى جانب الرُّسُل وبعض أنبياء العهد القديم مثل: موسى وهارون الكاهن وحزقيال وإرميا ودانيال وإشعياء. وعلى بقايا رسومات جدارية أُخرى، تظهر أشكالٌ آدمية أُخرى لقدِّيسين مختلفين أمثال: يوحنا المعمدان وكَتَبَة الأناجيل الأربعة[١٤].

وبعض هذه الرسومات الجدارية مدوَّنٌ بها حتى الوقت الراهن تواريخ وأسماء بعض

(14) J. Leroy, *Les peintures des couvents du désert d'Esna*, vol.1. *La peinture murale chez les Coptes*, MIFAO 94, Le Caire, 1975.

مِمَّنْ رسموها، مثل: الرسَّام مرقوريوس من دير الأنبا شنودة بسوهاج سنة ١٣١٥ – ١٣١٦م. كما يمكن أيضًا قراءة اسم الرسَّام إسحق من أخميم في مخربش يرجع إلى سنة ١٢٧٢–١٢٧٣م؛ بالإضافة إلى اسم الرسَّام باكير، وكان راهبًا من جبل البركات Blessings في شمال إسنا، ويظهر اسمه في مخربش يؤرَّخ من سنة ١٣٦٨ – ١٣٦٩م. وبالقرب من رسم الشاروبيم، يمكن رؤية بقايا اسم ممسوح لرسَّام آخر أنجز رسوماته الجدارية في عام ١٤٣١-١٤٣٢م. ومن أقدم أجزاء دير الفاخوري أيضًا، نُشير إلى حوائط الخورس والسور الخارجي الشمالي، وكلهم من الربع الأول من القرن الثامن الميلادي.

وفى الناحية الغربية من المدخل، توجد حجرتان تغطِّيهما قباب. وفى الرواق الشمالي لهذه الكنيسة الأثرية، يُفتَح باب يؤدِّي إلى حصن الدير وهو من عمارته القديمة. وبالقرب من هذا الباب، يوجد قبر لقدِّيس مجهول الاسم. والحصن هو عبارة عن مبنى مربع الشكل وبه ثلاثة مخازن. يقسَّم كلُّ مخزن منهم إلى أربع حجرات يوصِّل إليها سُلَّم في الركن الجنوبي الشرقي. وقديمًا، كان مدخل الحصن في المخزن الثاني. ويتميَّز الحائط الخارجي للحصن بطرازه الفرعوني. وفى الركن الشمالي الغربي، توجد باقي الحجرات الأخرى.

وتتكون **المجموعة المعمارية الجنوبية** لدير الفاخوري من ثلاثة مبانٍ: يأتي في مقدِّمتها مجموعة من القلَّايات الغربية. وبكلِّ قلَّاية مجموعة من الحنيات. ويتميَّز الجدار الخارجي للحنية الوسطى منها بوجود عمود للتهوية shaft for ventilation. وفى الناحية الجنوبية ممرٌّ به باب مزوَّد أيضًا بفتحة للتهوية والإضاءة، وهو يؤدِّي إلى المائدة الأثرية. والممر عبارة عن صالة مربعة الشكل، في منتصفها مائدة يكتنفها دكة يمينًا ويسارًا ليجلس الرهبان في مواجهة بعضهم البعض، وذلك أثناء تواجدهم في هذا المبنى. وبالمائدة الأثرية أربع دعامات يرتكز عليها السقف. وفى الناحية الغربية منها، بقايا قاعات مدمرة ربما كانت بمثابة مطبخ ومخازن. وتجدر الإشارة إلى أنَّ التخطيط المربع للمائدة الأثرية في دير الفاخوري غير مألوف، ولا ندري ما السبب في هذا الأمر! ولكن ربما حدث ذلك في مرحلة من مراحل الترميم التي حدثت لمباني الدير المختلفة في القرن الثاني عشر الميلادي، أو ربما بعد ذلك. فمن المعتاد في أغلب الأديرة القبطية المُشيَّدة في مصر أن تكون المائدة الأثرية مستطيلة الشكل. وفى الناحية الشرقية من المائدة الأثرية، يوجد صفٌّ من قلالي الآباء الرهبان.

الخاتمة:

وختامًا، يُعتبر دير الفاخوري بإسنا من أهم الأديرة القبطيَّة الأثرية في صعيد مصر. وقد أشار إليه بعض المؤرِّخين، كما زاره عددٌ كبير من الرحَّالة الأوروبيين والمعماريين والباحثين، لدراسة أساليبه المعماريَّة وطُرزه الفنيَّة المختلفة، ووصف وتسجيل أدق التفاصيل عن الرهبنة والأديرة القبطية في العصور التاريخية المختلفة في مصر العليا، مما ساعد في التعرُّف على حياة النُّسَّاك والرهبان الأوائل الذين عاشوا في مدينة إسنا حينذاك. وشهد دير الفاخوري كثيرًا من أعمال التجديد والتطوير وتنظيف وترميم ما به من رسومات جدارية، احتوت على موضوعات زخرفية مقتبسة من الكتاب المقدَّس بعهديه القديم والجديد، أكَّدت على مهارة ودقَّة الرسَّامين الذين سجَّل البعض منهم أسماءهم بها. وبذلك يكون دير الفاخوري من أهم المعالم التراثية القبطيَّة المُشيَّدة بالقرب من مواقع أثرية أُخرى من عصورٍ مختلفة، يمكن تسليط الأضواء عليها من أجل تنشيط صناعة السياحة في إسنا.

****

(بقية المنشور صفحة ٤٣ - "البيت الفارغ")

وعن ذلك يقول الأب متى المسكين: [إنَّ إخراج الشياطين ليس مهمة صغيرة بل هو عملٌ جهادي، إذ يَلزم متابعة مَن خرج منه الشيطان بالتَّقْوية الروحيَّة والتَّمسُّك بالإنجيل والصلاة والصوم: «مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ» (١كو ٦: ١٧). وهذا هو الدفاع والوقاية بالنسبة للإنسان الذي خرج منه الشيطان، أنْ يَلتصق بالربِّ فَيُصبِح في مكانٍ أبدي][٤].

لذلك مِن المهم لنا أن نَحمل في داخلنا الربَّ يسوع، حكمة الله وبره، لكي نَنعَم بحياته فينا، ونعيش مُقدَّسين فيه، لأنَّه ما دام الربُّ حاضرًا في سفينة حياتنا، فهو قادرٌ على معونتنا في جهادنا ضدَّ الخطيَّة، وإنقاذنا من سهام العدوِّ وحروبه الشِّريرة علينا. وها هو صوت الربِّ يُنَبِّهنا أنَّنا مهما صلَّينا أو جاهدنا بمَعزلٍ عن معونته، أو اعتمدنا على قوَّتنا ومعرفتنا الذاتيَّة؛ فلن نستطيع أن نُقاوم أو نَصدَّ قوات إبليس وسِهامه المُوَجَّهة نحونا. لذلك علينا بالحريِّ أن نطلب الربَّ، وندعوه بإلحاحٍ واتِّضاعٍ ودموع لكي يأتي ويسكن في قلوبنا، لنعيش في حَضرته، ونَشبع بحياته، وننجو برحمته؛ وحينئذٍ سوف تَهرب من قدَّامنا كلُّ قُوَى الشرِّ، ولن تَقدر على الوصول إلينا، ولكن علينا فقط أنْ نَتَذَكَّر دائمًا قول الربِّ: «لأَنَّكُمْ بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يو ١٥: ٥).

---

(٤) "الإنجيل بحسب القديس لوقا – دراسة وتفسير وشرح"، للأب متى المسكين، الطبعة الرابعة: ٢٠١٥، ص ٤٩٠.

أربع وجهات نظر عن آدم التاريخي[١]

لطالما تساءل المُتشكِّكون في عالمنا المُعاصر عن حقيقة تاريخيَّة آدم. وانقسم اللاهوتيون الإنجيليون إلى فرقٍ مُتعدِّدة، قدَّم كلُّ فريقٍ حُجَجه المؤيِّدة أو المُعارِضة لآدم كشخصٍ تاريخي.

ولكن هنا علينا أوَّلًا أنْ نسأل سؤالين: هل يتطلَّب الكتاب المقدَّس مِنَّا أنْ نؤمن أنَّ آدم شخصًا تاريخيًّا؟ السؤال الثاني: هل سيُفقَد أيُّ شيء من بشارة الإنجيل إنْ أنكرنا تاريخيَّة آدم؟

هذا الكتاب يعرض أربع وجهات نظر مختلفة عن تاريخيَّة آدم. ولكننا سنُقدِّم فقط وجهة النظر التي ترتاح إليها المسيحيَّة التقليديَّة، وما كان آباء الكنيسة الأولى يعتقدونه ويؤمنون به.

ولكننا قبل الغوص في أعماق هذه النظرية نُحب أن نُشير أنَّ الكتاب المقدَّس ليس كتابًا علميًّا. هو لا يُعطينا وصفًا بيولوجيًّا لكيفية نشأة البشر. ولكنه يُخبرنا أنَّ الله هو الخالق، وأنَّ البشر هم خليقته، وأنَّهم جزءٌ من خطته، وليسوا موجودين بالصُّدفة.

نظرية الأرض الحديثة[٢]:

هذه النظرية تقول إنَّ آدم هو شخصٌ تاريخي. هو رأس وأبو كلِّ البشرية. آدم ليس رمزًا، ولا هو تطوُّر بيولوجي. لم يكن آدم أسطورة، أو اسمًا عِرقيًّا، بل كان رجلًا حقيقيًّا، خلقه الله بشكلٍ خارق للطبيعة، ولم يتطوَّر في شيء. كما لا يتحدَّث الكتاب المقدَّس إلَّا عن نوعٍ واحد من البشر، زوج بدائي أوَّلي. وتمَّ تأكيد ذلك بواسطة الرب يسوع في (مت ١٩: ٤). ثم أكَّده القدِّيس بولس

---

(١) الكتاب صَدَرَ عن: "دار رسالتنا للنشر"، سنة ٢٠١٨. وهو يتكوَّن من ٣٠٣ صفحة من القَطْع الكبير، وقد أعدَّه العديد من المؤلِّفين.

(٢) المقصود **بنظرية الأرض الحديثة،** هو أنَّ أيام الخلق هي أيام حرفية مُكوَّنة من ٢٤ ساعة لكلِّ يوم. وأنَّ عُمر الأرض ليس هو ملايين السنين كما يُشاع في الأوساط العلمية. ونحن لا نأخذ من هذه النظرية إلَّا فقط موقفها من تاريخيَّة آدم، إذ إنَّ بعض آباء الكنيسة اعتبروا أنَّ ستة أيام الخليقة هي حقبات زمنيَّة طويلة (٢بط ٣: ٨).

أمَّا النظريات الأخرى فهي: **نظرية الخلق التطوُّري:** وهي أنَّ الله خلق الكون من خلال عملية التطوُّر الطبيعية، ووجود البشر أيضًا نتج عن الخلق التطوُّري. **النظرية الرمزية:** إنَّ آدم وحواء، على الرغم من كونهما شخصَيْن تاريخيَّيْن، ولكن قد لا يكونا أوَّل البشر، بل هما فقط مُمثِّلان عن البشرية جمعاء. **نظرية الأرض القديمة:** ترى أنَّ عُمر الأرض مليارات السنين. وكلمة: "اليوم" يتمُّ تفسيرها على أنَّها فترة زمنية طويلة.

في سِفْر الأعمال (١٧: ٢٦)، وفي رسالة رومية (٥: ١٢)، ورسالة كورنثوس الأولى (١٥: ٢١، ٤٧، ٤٩). كما لا يوجد أيُّ سبب لافتراض أنَّ كلمة آدم تُستخدم بمعنى جماعي، وبالتالي تترك مجالًا لفرضيات التطوُّر لعددٍ كبير من الأزواج البشرية.

بدون آدم التاريخي، لا يُمكننا فهم العالم أو فهم إيماننا المسيحي بشكلٍ صحيح. والرسول بولس يصيغ ارتباطًا وثيقًا بين سقوط آدم وموت المسيح، فبدون سقوط آدم يتمُّ تفريغ علم اللاهوت من أبرز معالمه، أي الفداء. وإذا لم يكن آدم الأول قد سقط، فليس هناك سببٌ لعمل آدم الثاني، أي نزول الربِّ من السماء وتجسُّده. إنَّ اعتبار قصة سِفْر التكوين أسطورة هو رفض إنجيل الخلاص.

أهمية التأكيد على تاريخيَّة آدم:

١. إنَّ إنكار تاريخيَّة آدم معناه حذف الفصل الأول من قصة الفداء. ففي كلِّ حادثة في القصة الكتابيَّة، نرى الله عاملًا مُتفاعلًا مع أشخاصٍ حقيقيين. ولكن بدون آدم التاريخي واعتباره مجرَّد فكرة أو رمز، يقطع الصلة التاريخيَّة التي تجعل البشر مسؤولين أمام الله.

٢. تاريخيَّة آدم تُفسِّر الطبيعة الساقطة للبشر. لقد فشل آدم في طاعة وصية الربِّ له في ألَّا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، مما أدَّى إلى عواقب مُميتة على الجنس البشري كلِّه. ولكن لنفترض أنَّ هذا كله (قصة السقوط) لم تحدث؛ فما السبب في الفساد الكلِّي للبشر؟ إنَّ عالمية الخطية في تاريخ البشرية مرجعها إلى سقطة أبينا آدم.

٣. العلاقة بين آدم والمسيح هي علاقةٌ تاريخيَّة. فعندما يصف الرسول بولس أفعال هذين الرجلين (آدم والمسيح)؛ فإنَّه يُشير إلى أحداثٍ حدثت بالفعل في الزمان والمكان: أخطأ آدم، ونتيجة لعصيانه، انتشر الموت إلى كلِّ الجنس البشري بأكمله؛ والمسيح أطاع، ونتيجة لبرِّه، فإنَّ الكثيرين تبرَّروا.

الحياة التي يُعطيها المسيح حقيقيَّة مثل الموت الذي تسبَّب فيه آدم. ولكنه لكي يكون الأمر كذلك، فإنَّ برَّ المسيح لا بد أنَّه يُعالج مشكلة موجودة بالفعل، كنتيجة لشيءٍ فعله آدم بالفعل. إنَّ تعاليم بولس في (رومية ٥) تقول: إنَّه كما كانت خطية آدم تُنسب لبقية جنسه، كذلك برُّ المسيح يُحسَب للكثيرين بالإيمان. هذا يفترض، أنَّ التعدِّي والطاعة قد حدثا تاريخيًّا.

تؤكِّد وحدتنا في آدم على الكرامة الإنسانيَّة المتساوية، وهي فرضية مهمة للشهادة المسيحيَّة. فلا يترك آدم التاريخي أيَّ مجالٍ للتفرقة العنصريَّة. فنحن جميعًا ننتمي لعائلةٍ واحدة، وكوننا مخلوقين جميعًا على صورة الله؛ فهو جزءٌ منيع للكتاب المقدَّس ضد التحيُّز العنصري.

- **خضوع مخطوطات قمران للكتاب المقدَّس لاختبارات الحمض النووي DNA.**
- **فيلم واقعي يحكي قصة اكتشاف مخطوطات قمران.**

⁂ ⁂ ⁂

خضوع مخطوطات قمران للكتاب المقدَّس لاختبارات الحمض النووي DNA:

إحدى مخطوطات وادي قمران

بعد أكثر من ٧٠ عامًا من اكتشافها، لا تزال الكثير من مخطوطات البحر الميت قيد البحث والإحصاء والترجمة. ويبلغ عددها حوالي ألف وثيقة مختلفة، تنقسم إلى عشرات الآلاف من الأجزاء. وبفحص كتابة المخطوطات، تبيَّن أنَّ حوالي ٥٠٠ كاتب مختلف قد اشتركوا في الكتابة.

قام العلماء بعمل اختبارات DNA لبعض القصاصات في عام ٢٠١٢م. والقصة طريفة، إذ تقابل عالِم الطبيعة النوويَّة "عوديد ريكامي" مع باحث في الكتاب المقدَّس هو "نوام مزراحي" في جامعة تل أبيب في حافلة، وكان عليهما إقناع السُّلطات الأثريَّة الإسرائيلية بجدوى البحث. وعليه فقد سمحت لهما السُّلطة فقط بأشرطة لاصقة من كعوب بعض المخطوطات. ولأن العمل سوف يؤدِّي بالطبيعة لتدمير العَيِّنات، فقد جمعا غبار اللفافات من الخلف فقط للحفاظ على العَيِّنات، علمًا بأنَّ بعض القُصاصات حسَّاسة لدرجة أنَّ مجرد لمسها سوف يؤدِّي لتدميرها. ولعلَّه شيءٌ معجزي أن تحتفظ العيِّنات الجلدية بالحمض النووي رغم تداولها عَبْر السنين.

وجميع العَيِّنات المُختَبَرة تقريبًا مصنوعة من جلد الغنم، عدا عينتين من سِفْر إرميا، من جلد البقر. أربع عَيِّنات مختلفة منها بها نسخة بحسب النصِّ الميزوري المُتداوَل بين أيدينا الآن، ونسخة حسب الترجمة السبعينية، ونسخة ثالثة تتوسط النَّصَّين. لقد كان عابدو قمران منفتحين على ترجماتٍ ونصوص مختلفة من الكتاب المقدَّس، بعكس ما نحن فيه الآن. علمًا بأنَّ المخطوطتين من جلد البقر الذي لا يعيش في صحراء قمران لعدم وجود

العُشب والماء بالمنطقة، مِمَّا يدلُّ على أنهما استُجلبتا من منطقةٍ أُخرى واستُعملتا في قمران. ولا يزال العلم يومًا فيومًا يشهد على أسرار ومصداقيَّة الكتاب المقدَّس.

(عن: CBN)

فيلم واقعي يحكي قصة اكتشاف مخطوطات قمران:

تمَّ تصوير فيلم بعنوان: "The Oracle of God" "وحي الله"، وتمَّ اختيار مواقع تتشابه مع البيئة الطبيعية التي تمَّ فيها اكتشاف المخطوطات في التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧م، وهو نفس تاريخ إصدار قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين. وبحسب العلماء اليهود، كأنَّ الله قد حفظ هذه المخطوطات في تلك الكهوف حتى يُظهِرها في ذلك اليوم بالتحديد.

تقول: "إيريل زيزمان" مُخرجة الفيلم، بحسب (رو ٣: ١): «إِذًا مَا هُوَ فَضْلُ الْيَهُودِيِّ، أَوْ مَا هُوَ نَفْعُ الْخِتَانِ؟ كَثِيرٌ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ! أَمَّا أَوَّلًا فَلأَنَّهُمُ اسْتُؤْمِنُوا عَلَى أَقْوَالِ اللهِ». أمَّا "شارون شافيت" مُنتجة الفيلم، فتقول: "إنَّ كلَّ مشهد في الفيلم مُميَّزٌ جدًّا، والتدقيق العلمي على أعلى مستوى. لقد أنتجتُ من قبل ٢٥ فيلمًا، ولكن هذا العمل هو الأكثر دقَّة وروعة بالنسبة لي. فمثلًا خبر اكتشاف المخطوطات الذي وَرَدَ في صحيفة Wall Street Journal، قد أوردناه من الصفحة الأصليَّة للجريدة. وتمَّ أيضًا إنشاء ملامح بيئية تتطابق مع الموقع الأصلي، بما في ذلك معمودية طقسيَّة، بحسب التقليد اليهودي".

الفيلم يُشبِع فضول أيِّ إنسان، يهوديًّا كان أو مسيحيًّا. وهكذا يتدعَّم إيمان أيِّ إنسان مهما كانت عقيدته. مثال لذلك، فسِفْر إشعياء الذي قرأ منه الرب يسوع هو هو كما كان منذ البدء بترجمةٍ تتطابق بنسبة ٩٥ في المائة، والخمس في المائة الباقية هي مجرَّد تغيُّر قواعد اللُّغة والهجاء على مدى أكثر من ألف عام. لذا فالفيلم يعرض حقائق، والحقُّ فقط ولا شيء غيره، دون الإيحاء للمُشاهد بتبنِّي نهج أو مَيْل فكري مُعَيَّن.

(عن: CWN)

Meeting of
the Orthodox Churches Representatives at the Papal Residence in Saint Bishoy's Monastery

Over the course of the 16th and 17th of September, the Papal Residence in St Bishoy's Monastery, Wadi El-Natroun hosted a conference of representatives of Orthodox Churches around the world, after a hiatus of around 34 years since the last meeting in 1990 in the pontificate of the late H.H. Pope Shenouda III.

During the conference, the participants discussed a number of faith and social issues in the fields of ecclesiastical care and service under the theme "The love of Christ compels us" (2Corinthians 5:14). The participants sat around a round table and the discussions took place in an atmosphere of love and full cooperation.

Each Church was represented by two members who were from Russia, Turkey, Greece, Bulgaria, Romania, Cyprus, Jerusalem, Syria, Lebanon, Armenia, Poland, Egypt, Eritrea and Albania.

The conference opened with a welcome speech by H.H. Pope Tawadros II and a loving message from H.A.H. Patriarch Bartholomew I, read by the delegate of the Ecumenical Patriarchate in Turkey. The attendees agreed to continue meetings and exchange visits in the coming period, to support the service of the Orthodox Churches and confront the social challenges that affect the Christian family in all forms.

The conference issued the following communiqué:

Communiqué

IN RESPONSE to His Holiness Pope Tawadros II Pope of Alexandria and Patriarch of the See of St Mark's invitation for a preparatory meeting of the *Orthodox Church and the Oriental Orthodox Churches "For the love of Christ compels us"* (2Corinthians 5:14), dedicated to the unity of the Orthodox Churches, the representatives of these Churches met at the LOGOS Papal Center,

situated in the Monastery of Saint Bishoy, Wadi El Natroun, Egypt, on the 16th-17th of September 2024.

Gathered in the name of the Triune God, Father, Son and Holy Spirit, the members of the meeting attended a prayer, at the Transfiguration Church, led by His Holiness Pope Tawadros II, who welcomed everyone with sincere joy and emphasized: *"building relations of love in Christ, deepening our understanding of each other, continuous dialogue, and relentless prayers would […] take us all to the heart of Our Lord Jesus Christ*," and that *"we need to have one Orthodox voice built on a mutual view of global social issues that are forming a great concern now for our churches*."

His All-Holiness the Ecumenical Patriarch Bartholomew, underlined in his message: "*Our concern for and our dedication to the task of Christian unity […] springing from a sense of responsibility and from the conviction that mutual understanding and cooperation are of fundamental importance if we never wish to 'put an obstacle in the way of the gospel of Christ,' (1Cor. 9:12) with the common goal being 'the ultimate restoration of unity in true faith and love.*' "

The two co-chairmen of the Joint Commission for the Theological dialogue between the Orthodox Church and the Oriental Orthodox Churches, HE Elder Metropolitan Emmanuel of Chalcedon (Ecumenical Patriarchate) and HE Metropolitan Thomas of Quosia and Mir (Coptic Orthodox Church) made introductions regarding the previous stages and achievements of the dialogue, and recommendations for future steps. HE Metropolitan Emmanuel also recalled the blessed memory of Metropolitan Bishoy of Damietta, former co-chairman,

who played a predominant and decisive role together with his late predecessors Metropolitan Damaskinos of Switzerland and Metropolitan Chrysostomos of Myra, the first co-chairman, for their tireless efforts for having advanced rapidly the theological dialogue. Moreover, HE Metropolitan Thomas pointed out the need for an immediate action towards the implementation of the agreements of the Dialogue and noted that in our days the voice of the Orthodox faith can bring hope to the people and restore Christianity in the fragile society of today's world.

The representatives of the two Orthodox families met in an atmosphere of Christian fraternal love in the round table. They recognized the successful steps of the dialogue while elaborating the concrete measures needed for the restoration of full communion by considering a 'Road Map' previously prepared by the working group of official delegates in Athens, 24th-25th November 2014. An intense and fruitful discussion took place. Separate meetings of the families discussed the issues from the perspective of each family followed by a series of plenary sessions, addressing: the stance of each Church on the Agreed Statements; how to implement them, how to proceed, and how to deal together with contemporary challenges, including social and ethical issues, facing the Orthodox.

Furthermore, with one voice and in faithfulness to our shared theological, biblical and patristic tradition, all members raised the issue of the crisis surrounding family matters and anthropological challenges present in today's secular society. They expressed the wish, that all Christians may become ambassadors (cf 2Cor 5:20) of Christ's message to the modern society, in order to transfigure the world with the light of truth and wisdom.

Our Church Families view the indissoluble and loving union between a man and a woman in holy matrimony as a "great mystery" (Eph 5:32), reflecting the relationship between Christ and the Church, in contrast to certain contemporary approaches to marriage. From this union arises the family, which is seen as the sole foundation for the birth and upbringing of children according to the divine plan. Our Churches, therefore, consider the family a "small Church" and provide it with appropriate pastoral care and support.

Our Churches categorically reject the justification of same-sex relations within what is called "absolute human freedom" which causes harm to humanity. Our Churches, while affirming their complete belief in human rights and freedom, also confirm that the freedom of the created is not absolute to the point of transgressing and breaking the commandments of the Creator.

The participants unanimously agreed that:

i) the two Joint Sub-Committees on liturgical and pastoral issues continue their work;

ii) the two co-chairmen of the Commission visit the Primates of the Orthodox Churches and Oriental Orthodox Churches in order to communicate the positive outcome of the dialogue and to receive their feedback regarding the signed Agreed Statements and Proposals;

iii) a joint website to be created, containing all the necessary documents of the previous bilateral dialogue at the disposal of the new members of the Joint Commission to be appointed by their Churches, to facilitate the decision making process;

iv) the two Orthodox families involve all levels of the clergy, monastics and lay people in the implementation of the dialogue.

As 2025 marks the 1700th anniversary of the first ecumenical council of Nicaea, and Christians around the world will celebrate Pascha at the same date, the representatives of the two families expressed their wish that all Christians in the whole world celebrate Pascha following the canonical tradition of Nicaea and the Orthodox Paschalion.

During the last session all participants expressed their sincere gratitude to our Risen Lord, Jesus Christ, for granting them the gift of being together after a period of internal reflection and growing interest on the Dialogue and its fruits in all levels of their local Churches. The participants were grateful to the Coptic Orthodox Church and His Holiness Pope Tawadros II for their Abrahamic hospitality and hosting the meeting.

✞✞✞

St.Basil t

ring Back To Unity The Churches
h Have Been Severed From Each Other

I think that those who serve the Lord sincerely and tru
have this one ambition to bring back to unity the c
ch have been severed from each other at 'sundry time
ers manners.' … and therefore the Lord has promise
atest reward for it. Accordingly, when I had met the b
beheld their brotherly love and their affection toward
r still much greater love of Christ, as well as their e
strength in the faith, and when I also saw that the
wing great zeal for two things not to be separated fr
e, and not to betray the sound faith I approved the
rse of action. Further, I am writing to your Dignity
n all love that you regard them as truly united and as sh
your solicitude for the Church.

Saint Basil Letters, Letter 114, tr. A. Clare, FC

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Βα

Οἶμαι προσήκειν μίαν ταύτην εἶναι σπουδὴν τοῖς γνη
θινῶς δουλεύουσι τῷ Κυρίῳ τὸ ἐπαναγαγεῖν πρὸς ἕν
κλησίας τὰς πολυμερῶς καὶ πολυτρόπως ἀπ'
τμηθείσας. .... Οὐδὲν γὰρ οὕτως ἴδιόν ἐστι χριστιανο
ηνοποιεῖν· διὸ καὶ τὸν ἐπ'αὐτῷ μισθὸν μέγιστον ἡμῖν
γγείλατο. Συντυχὼν τοίνυν τοῖς ἀδελφοῖς καὶ θεα